القُرّاء والصِّحافة

باب مُراسلات مجلَّة الهلال ١٨٩٢/ ١٩٠٦ نموذجًا

د . شريف إمام

أستاذ التاريخ الحديث المساعد – كلية الآداب – جامعة عين شمس

القُرّاء والصِّحافة :
باب مُراسلات مجلَّة الهلال ١٨٩٢/ ١٩٠٦ نموذجًا

د . شريف إمام(*)

الملخص

إنَّ كتابة تاريخ شعب ما في فترة زمنية معينة لا بد أن تبدأ بشهادة الشعب نفسه ، فينبغي للمؤرخين أن يسمحوا للناس العاديين بالتحدث عن أنفسهم . من هنا تكمن أهمية رسائل القُرّاء للصحف والمجلات باعتبارها أداة للبحث عن شهادة للناس عن الفترة التي عاشوها . ودائمًا ما جاءت المراسلات إلى الصحف – والتي عادة ما توجه إلى رئيس تحريرها – في صورة استجابة عفوية من القُرّاء لما تنشره من مقالات . بينما استجلب البعض تلك المراسلات ، من خلال طرح قضايا – عادة ما تكون جدلية – على القُرّاء ، مستهدفةً تفاعلهم النشط معها . ويهدف البحث لدراسة بريد القراء فى مجلة الهلال (٢٩٨١/ ٦٠٩١) كنموذج لهذا التفاعل بين القراء والصحافة .

كلمات مفتاحية : الصحافة ، القراء ، الهلال

Abstract:

Writing the history of a people in a certain period of time must begin with the testimony of the people themselves. Historians should allow ordinary people to speak for themselves. Hence the importance of readers' letters to newspapers and magazines as a tool for searching for people's testimony about the period in which they lived. Correspondence to newspapers - usually addressed to their editor - is almost always a spontaneous response from readers to their articles. While some elicited this correspondence by presenting issues - usually controversial - to readers, aiming for their active engagement with them. The research aims to study readers, mail in Al-Hilal magazine (1892/1906) as a model of this interaction between readers and the press.

Keywords: the press, readers, Al-Hilal

(*) أستاذ التاريخ الحديث المساعد – كلية الآداب– جامعة عين شمس .

يُعدُّ الإعلام الوظيفة الأساسية التي بررت ظهور الصحافة وصاحبتها منذ نشأتها الحديثة ، في المقابل تتفاوت وظائفها الاجتماعية من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى آخر ، مُتراوحةً بين التثقيف والتوعية والتعبئة والنقد الذاتي وبناء الرأي العام[١] . وتُشكّل تلك الوظيفة الأخيرة دُرّة الوظائف الاجتماعية للصحافة ، وأداة للحكم على مدى نجاحها ، فغالبًا ما تخاطب الصحف الرأي العام ؛ لتوجهه الوجهة التي ترتسمها ، وتسيره أو تصحح خطأ سيره ، والرأي العام يقاوِم بعض الأحايين ، ويحاول تصحيح الاتجاه الذي تريد الصحافة تولية وجهه شطره ؛ إذا لم يكن مُدْرِكًا فائدته[٢] . وكثيرًا ما تركن الصحف في قياس مدى نجاحها في تأدية تلك الوظيفة إلى مجموعة من السُبل ، لعل أقدمها باب المراسلات المُوفَد إليها من قُرّائها . ودائمًا ما جاءت المراسلات إلى الصحف – والتي عادةً ما توجَّه إلى رئيس تحريرها – في صورة استجابة عفوية من القُرّاء ، لما تنشره من مقالات[٣] . فيما استُجلبت بعض تلك المراسلات ، من خلال طرح قضايا – عادة ما تكون جدلية – على القُرّاء ، مستهدفةً تفاعلهم النشط معها[٤] .

وعرفت رسائل القُرّاء طريقها إلى الصحف منذ أوائل القرن الثامن عشر ، ونمت وأُفرد لها بابٌ في القرن التاسع عشر[٥] ، بل إن بعض الصحف الإنجليزية قامت كلها على مراسلات إلى هيئة التحرير ، فيما جعلت بعضها الجزء الأكثر مركزية فيها –وهو مقال الرأي– ، في شكل مُراسلة إلى المحرر كما في صحيفة المُشاهد The spec-tator.[٦] وقد نال هذا الباب اهتمام فريق من المؤرخين ، فعملوا جاهدين على استنطاقه من أجل معرفة ما أخفاه صخب الأحداث التاريخية البارزة والحوادث البراقة التي استأثرت بالنصيب الأكبر في الصحف . فقدم ألد جونز Aled Jones دراسته «الصحف والسلطة والجمهور في إنجلترا في القرن التاسع عشر» والتي أكد فيها

على هشاشة الروايات التاريخية القديمة التي تعاملت مع رسائل القُرّاء ؛ باعتبارها مجرد مساحة من الحشو الرخيص الذى يُكتب بشكل عبثي وانفعالي ، واصفًا إياها بالعنصر الصحي الحقيقي في الصحف الإنجليزية ، والمعبر الأساسي عن النبض الشعبي بل وأحد الأشكال الحية للتمثيل السياسي للجماهير(٧) .

لكن منطق جونز لم يُقنع بعض المهتمين بتاريخ الصحافة ، فحاَجَّته كارين وال يورجنسن K. Wahl-Jorgensen في حجم الثقة التي يمكن أن يتعامل به المؤرخ مع رسائل القُرّاء ؛ باعتبارها مصدراً تاريخيًا . ووصلت إلى نتيجة صادمة مفادها : «إن الرسائل الموجَّهة إلى المحرر في الصحف المحلية الإنجليزية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحملُ أسلوب الصحفيين ، على الرغم من تقديمها كما لو كان كُتَّابها غير صحفيين . إن اختيار مثل هذه الرسائل وتحريرها بل وكتابتها تمت بمعرفة الصحفيين ، ممَّا يَحدُّ من قدرة استخدام تلك الرسائل في تقييم الرأي العام»(٨) .

لكن شكوك يورجنسن التي أطلقتها كاليقين ، لم تصرف أندرو هوبز Andrew Hobbs عن تقديم – ما دعاها – أول دراسة منهجية لرسائل القُرّاء في صحافة العصر الفيكتوري ، وبالنسبة له فإنَّ التحليل الكمي لرسائل هذا العصر يشير إلى توشّي ظاهرة التوقيع عليها من قبل أصحابها ، ممَّا أماط اللِّثام عن هوية المُرسلين وطبيعة انتمائهم الطبقي والحزبي ، وسمح للمؤرخين بنيل أوتارهم منها(٩) . بل إن هوبز أكد بالنماذج على قيام بعض النساء باستخدام باب المراسلات للزود عن حق المرأة في التصويت والتنديد بكل أوجه التمييز الذكوري ضدهنَّ ، وهو يدحض النتيجة المتعجلة لباتريشيا هوليس Patricia Hollis من إغفال باب المرسلات لمشاكل نساء العصر الفيكتوري(١٠) . وإن كان هوبز عزز فكرة تدخل فريق عمل الصحيفة في باب المراسلات ، ليس من خلال تحريرها فقط ، وإنما عبر كتابة بعضها بصفتهم قُرّاء عاديين ، وهو أمر يستدعى مزيد من الحذر والتمييز وليس إيصاد الباب بالكلية أمام

الاستفادة من هذا المصدر التاريخي[١١] . وتبع هوبز آخرين ، منهم على سبيل المثال المؤرخ ديفيد نورد David Nord الذي رسم لنا صورة لمجتمع فيلادلفيا في الولايات المتحدة ، أواخر القرن الثامن عشر ، إبان تفشي وباء الحمى الصفراء ، من خلال رسائل السكان المحليين للصحافة الفيدرالية ، فنقل المواطنون العاديون تجربتهم مع الوباء بصورة صادقة ، حيث كان غرضهم محاربة الشائعات ونقل تجارب حقيقية عن طرق العلاج[١٢] .

وتهدف هذا الورقة إلى اختبار جدية باب المراسلات كمصدر للمعرفة التاريخية ، من خلال دراسة حالة لواحدة من أقدم المجلات العربية وأكثرها استمرارية ، وهي مجلة الهلال . وفى سعيها للإجابة عن هذا السؤال ، تقدم الورقة تحليلاً كميًا لرسائل قُرّاء المجلة في الفترة من ١٨٩٢ وحتى عام ١٩٠٦ ، مع تحليل لما تضمنته تلك الرسائل .

مسيرة الصحافة المصرية حتى ظهور مجلة الهلال

عرفت مصر المطبعة مع مجيء الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ ، وعرفت معها الدوريات ؛ لكنها كانت مطبعة الجيش المحتل ، لم تلبث أن اختفت من البلاد بمجرد ما لاح في الأفُق اضطرار هذا الجيش للانسحاب منها . وكانت الدوريات كولونيالية الطابع تصدرُ بغير لغة البلاد ، ولا تتجهُ إليهم[١٣] . وتبقى البداية الحقيقية للصحافة المصرية ، عندما شرع محمد علي بتأسيس مطبعة بولاق سنة ١٨٢١ ، وزوَّدها بالحروف العربية والتركية واليونانية والفرنجية وبأصناف الورق المختلفة ، فطُبِع «جرنال الخديو» في سنة ١٨٢٨ . لم يكن هذا الجرنال يوزَّع على الجمهور ، بل كان قاصراً على الوالي وكبار رجال الحكومة ؛ ومهما يكن من أمر «جرنال الخديو» ومنزلته ، فممَّا لا شك فيه أنَّ «الوقائع المصرية» – التي صدر عددُها الأول في الثالث من ديسمبر سنة ١٨٢٨– كانت الدورية الصحفية الأولى العامة التي عرفتها البلاد العربية من

المحيط الأطلنطي إلى الخليج العربي ، وكانت هي الأولى كذلك في الدولة العثمانية وفي بلاد إيران ، وإنْ كانت المطبعة قد عُرِفَت في الأستانة وبيروت قبل أن تُعرَف في الإسكندرية والقاهرة[١٤] .

في ستينيات القرن التاسع عشر ، عرفت مصر الصحافة الشعبية والدوريات المتخصصة ، فصدرت مجلة «يعسوب الطب» إشراف الحكومة المصرية ، وأوحى الخديو إسماعيل إلى أحد أعوانه عبد الله أبو السعود بتأسيس صحيفة «وادي النيل» عام ١٨٦٦ لتكون منبراً للدفاع عنه ضد جريدة «الجوائب» التي تصدر في القسطنطينية[١٥] . هكذا ولدت الصحافة المصرية في كنف الحكام وخضعت لتوجيهاتهم ، لكن سرعان ما شبت عن طوق وصايتهم ، فأنشأ إبراهيم المويلحى وعثمان جلال مجلة «نزهة الأفكار» ، وجاءت حرة في أفكارها قوية في طرحها ، فما استطاع إسماعيل معها صبراً ، وعمد إلى إلغائها بتهمة – أمست مبرراً تاريخياً لتقييد حرية الرأي– تهييج الخواطر وبعث الفتن[١٦] .

لكن الصحافة الشعبية المصرية تلقت معيناً لا ينضب من العقول الشامية ، التي فرت إليها بعد أحداث لبنان عام ١٨٦٠ وتعقد العلاقة مع السلطنة العثمانية وولاتها . فأقبل طائفة منهم على اصطناع القلم واتخذوا الصحافة حرفة لهم ، فصدرت «الكوكب الشرقي» عام ١٨٧٣ أول صحيفة عربية يُصدرها اللبنانيون في مصر[١٧] . وكلما عزت الحرية في الولايات العثمانية وجد صحفيو الشام في مصر مَرفأً . فقد أمسى إسماعيل – في آخر عصره– حفيًا بالصحف على اختلاف جنسياتها وأمد بعضها بإعانات ، وقام موظفو حكومته بمساعدتها في تحصيل اشتراكاتها من الأهالي ، بل كان من بينهم من فرضت عليه هذه الاشتراكات مع جهله بالقراءة والكتابة ، فأصدر الشوام قلعة الصحافة اليومية «جريدة الأهرام» لصاحبها سليم تقلا عام ١٨٧٦ ، تلتها جريدة «مصر» لأديب إسحق ، ثم دشَّن

يعقوب صنوع أُولى الصحف الساخرة في الشرق «أبو نظارة زرقاء»[١٨] .

وما كاد عصر إسماعيل يبلغ ضحاه ، حتى بلغ عدد الصحف في القطر المصري ثلاث وعشرين صحيفة ومجلة ، أَكْثرهم انتقل إلى مصاف صحف الرأي ، فعمدت جريدتا الوطن ومصر إلى التأكيد على شعار مصر للمصريين ، وشرع يعقوب صنوع في نشر بذور الثورة في نفوس العامة عبر استخدام العامية لغةً لمقالاته[١٩] . ومع هبوب نسائم الثورة العرابية ، عرفت مصر أعلى درجات المواجهة بين الصحافة والسلطة بمستوياتها الثلاث – خديوية وعثمانية وأوروبية– ، وبلغ الخوف بخليفة إسماعيل توفيق أن يشترط على الراغبين في إنشاء صحف جديدة البعد عن السياسة وأدرانها . ثم تفتق ذهن نظاره على وضع قانون للمطبوعات عام ١٨٨١ ، خول بمقتضاه نظارة الداخلية إصدار التراخيص والإنذارات والتأجيلات وعمليات التعطيل والإغلاق للجرائد[٢٠] .

وسرعان ما طويت صفحة الثورة العرابية وولى عصر حرية الصحافة ، ونُفى كبار الصحفيين مثل : عبد الله النديم ومحمد عبده وغيرهما ، وأمست مصر في قبضة المحتل البريطاني ، فعُوقب بالوقف والمصادرة والإلغاء والإنذار أكثر من تسعين في المائة من صحافة مصر ، وأغلق نهائيًا– أو إلى أمد معلوم –صحف : الوطن ، والزمان ، والسفير ، والبرهان ، والاجبشيان جازيت ، وغيرها . . . .[٢١] وكان على الصحف أن تحتجب أو أن تغير لهجتها ، فآنست غالبيتها إلى الثانية ، وقبلت أن تكيل الإساءة والتشنيع لرجال الثورة ، وصار للاحتلال منبر يعبر عنه ، عَبْرَ جريدة المقطم التي كانت إنجليزية لحمًا ودمًا ، بل إن دار الوكالة البريطانية حالت دون أن يمتدَّ إليها سلطان الحكومة الخديوية ، عندما استخدمت التلميح والتصريح في نقد الخديو[٢٢] . ولقد شرعت طائفة أخرى من الصحافة في النأي عما هو سياسي ، خصوصًا إذا كان أصحابها من أهل الهوى الثوري مِّمن تعرضوا لهزيمة نفسية على أثر إخفاق الثورة

العربية ، فأعلنوا تطليق السياسية والتسيس طلاقًا بائنًا ؛ فمثلاً أسس عبد الله النديم صحيفة الأستاذ عام ١٨٩٢ وأعلن أنها «علمية تهذيبية فكاهية»[٢٣] .

وفي مثل هذا السياق ، حطَّ جرجي زيدان (١٨٦١/ ١٩١٤) رحاله إلى مصر قاصدًا كلية طب القصر العيني للدراسة ، ودفعته الفاقة وشظف العيش إلى البحث عن عمل يناسبه ، حتى وجد ضالته بالعمل محررًا في جريدة «الزمان»[٢٤] اليومية ، التي راق لصاحبها الأرمني ألسكان (علسكان) صرافيان الاحتلال البريطاني ، فصار يتغنى على صفحاتها بمزايا الاحتلال ويتمناه لعاصمة بنى عثمان لراحة أبناء جنسه[٢٥] . ثم انتقلَ بعدَها زيدان للعملِ مترجمًا فِي مكتبِ المُخابراتِ البريطانيةِ بالقاهرة عام ١٨٨٤م ، ورافَقَ الحملةَ الإنجليزيةَ المتوجهةَ إلى السودانِ . وكانت سلطة الاحتلال قد أسرفت في توظيف الشوام بالدوائر الحكومية ، لإتقانهم اللغات وأَخْذهم بسبل «التمدُّن» . ثم قفل زيدان عائدًا إلى وطنه ، فأقبل على تعلم العبرية والسريانية ، وانضم إلى المجمع العلمي الشرقي في بيروت ، ونال مكافأة خدماته فى قلم الاستخبارات البريطانية ، دعوة لزيارة بريطانيا ، فتعرف على معالمها ومتاحفها ومكتباتها ، واحتك بالثقافة الإنجليزية وتعرف على أعمال المستشرقين الأوروبيين ، وبسبب سوء حالته الصحية عاد إلي مصر مباشرة في شتاء عام ١٨٨٦ ليعمل في إدارة مجلة «المقتطف»[٢٦] التي سُمِحَ لها أن تنتقل إلى القاهرة بعد وعد قطعته على نفسها بعدم التعرض لنشر أي موضوعاتٍ تتعلق بالمسائل السياسية والدينية[٢٧] . واتجه جرجي زيدان بعد استقالته منها إلى الكتابة والتأليف ؛ فأصدر فى عام ١٨٨٨ كتابه «تاريخ مصر الحديث» الذي حقَّقَ رواجًا عظيمًا بين النخبة المثقفة[٢٨] . بعدها اشتغل بتدريس اللغة العربية وآدابها في المدرسة العبيدية الكبرى وذلك في أواخر عام ١٨٨٩ ؛ فاستمر بها لمدة سنتين دون انقطاع[٢٩] ، ألَّف خلالها روايته الأولى «المملوك الشارد»[٣٠] . وفي أواخر سنة ١٨٨٩ كانت شهرته في التأليف قد بدأت تظهر وخاصة بعد كتابيه : «الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية» و«تاريخ مصر الحديث»

اللذان ظهرا في أوائل سنة ١٨٨٩ ، وكتابه عن تاريخ الماسونية الذي كان من حصيلة ذلك العام أيضًا[٣١] . كما اكتسب جرجي زيدان شهرة واسعة في موضوعات التاريخ الإسلامي والأدب العربي والكتابات عن العلوم والنظريات الحديثة .

وفي عام ١٨٩١ ، أنشأ جرجي زيدان مطبعة «التأليف» بالاشتراك مع نجيب متري المؤسس الأول لدار المعارف بعد موافقة نظارة الداخلية طبقًا لقانون المطبوعات[٣٢] ، ثم دبَّ خلافٌ بينهما في وجهات النظر فانفضت الشراكة ، واحتفظ زيدان بالمطبعة لنفسه ، وأسماها مطبعة «الهلال»[٣٣] . هكذا كانت أجواء الصحافة المصرية عند صدور الهلال ، وهي ظروف ألقت بظلالها على صاحبها ، فجعلته منصرفًا عما هو سياسي مفضلاً أن تكون مجلته تعليمية تُعنى بالتاريخ والآدب والعلوم .

تحليل لباب المراسلات : قراءة في الكم والنوع

في شهر سبتمبر سنة ١٨٩٢ ، ظهر العدد الأول من مجلة الهلال في إخراجٍ فني بسيط ، بغلاف غير مزدحمٍ بالرسوم ، يُحيط به إطارٌ زخرفيٌ تتصدره كلمة «الهلال» بخط بارز ، وجاء أسفله التعريف بها على أنها «مجلة علمية تاريخية أدبية» لمنشئها جرجي زيدان[٣٤] . وفى فاتحتها ، ذكرت أن لها خمسة أبواب لكل منها شكل مرسوم ، فباب «أشهر الحوادث وأعظم الرجال» يتناول تاريخ حادثة شهيرة أو رجل عظيم ، ثم «باب المقالات» من قريحة كُتَّاب الهلال أو أقلام الكُتاب المعاصرين . أمَّا «باب الروايات» فقد عنِيَ بنشر الروايات التي تختص بعادات الشرقيين وتاريخهم . ورابع الأبواب «تاريخ الشهر» ويشتمل على ما حدث في سائر أنحاء العالم ، وخاصة مصر وسوريا ، ملخصة ومرتبة حسب زمن حدوثها . وأخيراً منتخبات من الأخبار والتقريظ والانتقاد وغير ذلك . ولم يأت التقسيم على ذكر باب للمراسلات ، وخلا العددان الأولان منه ، وإن كانت عبارة «غير ذلك» التي أنهى بها زيدان حديثه تركت

الباب مواربًا لإنشاء المزيد وتوسُّع أقسام المجلة[٣٥] . بل إن صاحب الهلال طرح على قُرّائه – في العدد الأول– مجموعة من المسائل التي تحتمل – من وجهة نظره – وجهين وفيها مجال للبحث ، دون أن يطلب من أحد أن يدلو بدلوه ، فقدم ثلاثين مسألة فى التربية والتعليم والحداثة وحقوق المرأة والآداب[٣٦] . وفى العدد الثاني ، أومَّأ زيدان إلى أنه تلقى رسائل من القُرّاء– لكنها بعيدة عما طرحته المسائل الثلاثون – تطالبه بإعادة طبع روايته «أرمانوسة المصرية» ؛ حيث وجدوا فيه توضيح فتح مصر في صدر الإسلام إيضاحًا لا يستطيعه التاريخ[٣٧] .

وما لبثت الهلال غير بعيد ، حتى راسلها مجيب عن مسائلها الثلاثين ، فأفردت لجوابه بابًا ، سمته باب المراسلات ، وظل هذا البابُ موجودًا حتى عام ١٩٠٦ . كان المجيب شابًا يافعًا وهو أسبريدون أبو الروس من بيروتف ، كان مغرمًا بالآداب ولم يصرف التحاقه بكلية الطب عن اهتمامه وراسل غير الهلال مجلتي : «المشرق» ، «المقتطف» . وكان السؤال «هل الآداب بالطبع أم بالوضع؟» ، وكانت المراسلة إلى صاحب الامتياز جرجي زيدان ، وجاء الجواب مُسهبًا في ثلاث صفحات ، ومذيلاً بتوقيع صاحبه وبيان موطنه[٣٨] .

هكذا وِلد باب المراسلات في العدد الثالث للهلال الصادر في نوفمبر ١٨٩٢ ، وظل موجوداً حتى العدد السابع للسنة الرابعة عشرة من صدور الهلال .

تطور باب المراسلات في مجلة الهلال (١٨٩٢/ ١٩٠٦)

السنة (تبدأ من سبتمبر)	ع الأعداد	ع ورود باب المراسلات	ع المراسلات
الأولى ١٩٨٢/٩٣	١٢	١٠	٢٧
الثانية ١٨٩٣/٩٤	٢٤	٢٢	٥٢
الثالثة ١٨٩٥/٩٥	٢٤	٢٤	٦٠
الرابعة ١٨٩٥/٩٦	٢٤	٢١	٣٢
الخامسة ١٨٩٦/٩٧	٢٤	١٧	٢٤
السادسة ١٨٩٨/٩٨	٢٤	١٨	٣٣
السابعة ١٨٩٨/٩٩	٢٤	٨	١٢
الثامنة ١٨٩٩/١٩٠٠	٢٤	١٦	٣٠
التاسعة ١٩٠٠/٠١	٢٠	٩	١٢
العاشرة ١٩٠١/٠٢	٢٠	٤	٤
الحادية عشرة ١٩٠٢/٠٣	٢٠	١	١
الثانية عشرة ١٩٠٣/٠٤	٢٠	١	١
الثالث عشرة ١٩٠٤/٠٥	٢٠	٣	٤
الرابعة عشرة ١٩٠٥/٠٦	٢٠	٤	٥

ولا يمكن أن نُؤرخ إلى باب المراسلة في الصحف المصرية من خلال صدروه في مجلة الهلال ، فقد دشنت أختها الكبرى مجلة «المقتطف» باباً للمراسلة والمناظرة ، في العدد الأول لظهورها الثاني في يونيو ١٨٨٢ وافتتحته بالقول : «قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للأذهان ، ولكن العهدة فيما يدرج فيه على أصحابه ؛ فنحن براء منه كله ، ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعى في الإدراج وعدمه أن تكون المراسلات لها طابع التناظر ، فمُناظرك نظيرك . إنما الغرض الوصول للحقيقة ، فإذا كان كاشف أغلاط غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم ، وأخيراً خير الكلام ما قل ودل»[٣٩] . بل إن هذا

الباب في المقتطف ، ربما يكون هو الذي أغرى زيدان أن يختطَّ في مجلته باباً للمراسلة ، ولعل الباعث على هذا الظن أن زيدان قبيل صدور مجلته بأشهر وبالتحديد في مارس ١٨٩٢ ، كان مدعواً للمناظرة بعد صدور أُولى روايته «المملوك الشارد» ، حيث تقاطرت الرسائل على المقتطف بين مادحٍ وقادحٍ في الرواية وصاحبها ، مما اضطره للرد على منتقديه بلين الكلام ، فقال فى صدر رسالته للمقتطف : «قلت في مقدمة رواية المملوك الشارد : وأرغب إلى من يطلع على هذا الكتاب من أهل الآداب أن ينتهى إلى موضوع النقص ، فأصلحه في طبعة ثانية أو أتجنبه في كتاب آخر»[٤٠] . ولا يمكن أن نغفل مقدار التشابه بين المقتطف والهلال في الشكل والمضمون ، وهو أمر طبيعى لسابق عمل زيدان في المقتطف ، ولعل الفارق الأساسي بينهما ، هو انصراف المقتطف للأمور العلمية والطبية ، فيما انكبت الثانية على الأدب والتاريخ[٤١] .

وما إن أصبح باب المراسلات ركنًا أصيلاً في مجلة الهلال ، حتى خالطته أسئلة القُرّاء واقتراحاتهم بشكل كاد يخرجه عن المسار الذي وضِع من أجله ، فالفترة الممتدة من نوفمبر ١٨٩٢ وحتى يناير ١٨٩٤ شهدت ورُود أكثر من ست عشرة رسالة من أصل خمسين رسالة ، تلقتها الهلال في تلك الفترة ، في صورة أسئلة لها طابع معرفي مجرد مثل : السؤال عن المد والجذر ، ومتى تُرجمت التوراة؟ ونحوها من الأسئلة التي تبرز الصورة التي رأى بها قُرّاء الهلال مجلتهم ؛ باعتبارها مصدراً للمعرفة العلمية والأدبية . ولقد دفعت تلك الصورة من المراسلات بالهلال إلى إفراد باب مستقل للسؤال والاقتراح ، حيث سجل العدد العاشر للسنة الثانية (يناير ١٨٩٤) الظهور الأول لهذا الباب ، وقال زيدان في بيان الباعث على تدشينه : «يسرنا أن الهلال منذ نشأته تسير سيراً طبيعيًا في النمو حتى اضطرتنا الحال إلى التوسعة في مواضيعه والزيادة في أبوابه فقد قسمناه في أول نشأته إلى خمسة أبواب ثم رأينا

بعد ظهوره من مؤازرة أهل الآداب في مراسلاتهم ومقالاتهم ما حدا بنا إلى فتح باب للمراسلات . . ولقد رأينا لكثرة الاقتراحات وأهمية مواضيعها ، أن نفرد فيه بابًا للأسئلة والاقتراحات دعوناه «باب السؤال والاقتراح»(٤٢) . وظل هذا الباب مفتوحًا حتى يوليو ١٩٢١ – العدد العاشر للسنة التاسعة والعشرين – وسجل حضوره في أكثر من ٣٤٦ عددًا في تلك الفترة . ومهدت الهلال لإغلاق هذا الباب بالقول : «لا ننشر في هذا الباب إلا الأسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القُرّاء . فقد نغفل الرد على بعض الأسئلة إمَّا لكونها خصوصية لا تفيد إلا أصحابها أو لكوننا قد أجبنا عليها في بعض الأعداد الماضية ، ونظرًا لكثرة الأسئلة التي ترد إلينا فقد نضطر إلى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذرًا . وينبغي أن تُذكر مع الأسئلة أسماء مرسليها ، على أنه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف أو بكلمة عند النشر»(٤٣) .

وبالعودة إلى باب المراسلات ، فإن بدايته كما أسلفنا كانت من رحم تساؤلات ألقت بها المجلة إلى قرائها فجاءت إجابة أحدهم كنواة لتدشين هذا الباب ، وبدورها لم تكف هيئة المجلة عن طرح مزيد من التساؤلات ذات الطابع الجماهيري ؛ من أجل استجلاب مزيد من المراسلات . ومن تلك المراسلات : اقتراح للقارئ أن ينتخبوا ثلاثة ممن هم في اعتقادهم أشعر شعراء العصر في مصر ، ومتى أقرت الأكثرية على ثلاثة تذكر المجلة ترجمة أحوالهم ورسومهم إقرارًا بفضلهم . ثم عززت هذا السؤال بآخر فذكرت : «وردت علينا من بعض أدباء سوريا رسائل يُوعزون إلينا أن نفتح مثل هذا الباب للشعراء السوريين ؛ فإجابة لطلبهم نقترح على حضرات القُرّاء أن ينتخبوا ثلاثة وسندرج لهم ترجمة»(٤٤) . ولقد سمح هذا التساؤل – الذي بقي مسموح الإجابة عنه على مدى تسعة أعداد – بتلقي إحدى عشر رسالة حتى أعلنت هيئة التحرير : الاكتفاء بما أجاب به حضرات الأدباء على اقتراحها عن أشعر شعراء العصر

في مصر وسوريا ، وأُغلق هذا الباب خوفًا من التطويل وملل القُرّاء[٤٥] . فكما يذكر المستشرق الألماني مارتن هارتمان M. Hartmann فإن زيدان كان بارعًا في طرح الأسئلة المتنوعة على قرائه ؛ بغية الفوز بتفاعلهم ، وكثير ما كانت تدور حول قضايا إسلامية تستهوى غالبيتهم[٤٦] .

وإذا حاولنا تحليل تلك الرسائل من حيث الشكل ، فإن أول ما يستوقفنا هو توقيعها من قبل مُرسليها ، فقد كانت أغلب الرسائل المنشورة موقعة بأسماء أصحابها ؛ حيث جاءت ٢٥٦ رسالة بأسماء مُرسليها بنسبة تجاوزت ٨٦٪ من إجمالي الرسائل ، بينما جاءت عشر رسائل أخرى من وكلاء المجلة المتصلين بها دون تسمية لهم . واحتل (ر . ن) وهو اسم مستعار لأحد الأدباء على تسع رسائل ، وجاءت ٢٢ رسالة أخرى بأسماء مستعارة . كما أوضح تحليل باب الرسائل ، إقدام النساء على مراسلة المجلة ، وجاءت ثلاث رسائل منهنَّ لسيدات فضلنَّ الاستعارة عن التصريح عند ذكر أسمائهنَّ ؛ فهذه «معتدلة» من بيروت ، وبهية بمن الإسكندرية ، وتلك «محجوبة بمن القاهرة ، فيما أفصحنّ أربع أخريات عن هويتهنَّ وكنَّ لبنانيات وهنَّ الأديبات : لبيبة ماضي ، واستير خورى ، وعفيقة أظنف ، بالإضافة إلى السيدة مريم طاسو[٤٧] . ولعل غلبة التصريح على الاستعارة بالنسبة لمراسلات النساء إلى مجلة الهلال ، يكشف عن انخراط مبكرٍ للمرأة العربية – خاصة الشامية– في الشأن العام غير هيَّبة لذلك ، في الوقتٍ الذى طغى – وفق دراسة سارة «يدرسن Sarah Pedersen- استخدام أسماء مستعارة على مراسلات النساء في صحف بريطانيا حتى أوائل القرن العشرين ؛ حيث كانت النسوة هناك يناضلنَّ ؛ من أجل خَلْق هوية مجتمعية تسمح لهنَّ بالمشاركة في الشأن العام[٤٨] .

ولعل ثاني ما يلفت النظر هو جنسية المُرسلين ، فإن أكثر من مائة رسالة قد وردت إلى المجلة من الشام ؛ ونعنى لبنان وسوريا وفلسطين . ولكن هذا العدد لا

يعكس التمثيل الشامي في رسائل القُرّاء ؛ فقد أرسل الدكتور اللبناني أمين الخوري اثنتي عشرة رسالة أثناء وجوده بالقاهرة كان يوقعها بذكر المدينة المصرية الموجود بها سواء دمياط أو المنصورة ، والحال نفسه بالنسبة للأديب السوري رفيق العظم الذى راسل المجلة عشر مرات أثناء وجوده بمدينتي القاهرة وحلوان ، وكذلك الطبيب اللبناني إسكندر جريديني ومراسلاته من القاهرة ، فضلاً عن مراسلات لشوام من الولايات المتحدة والبرازيل وغيرها ، وهو أمر يجعلنا نقول بأن أغلب المراسلات كانت شامية . كما وجدت مراسلات عراقية وسودانية ومن الهند أيضًا ، بالإضافة إلى مراسلات المصريين التي حلت في مرتبة ثانية بعد الشوام(٤٩) .

ولعل آخر ما يستوقف الانتباه ، هو شمول تلك الرسائل لمساحة واسعة من الخريطة الطبقية للمجتمع ؛ فلقد أبانت معظم الرسائل عن وظيفة ومهنة المُرسل ، وإذا أضفنا إليها رسائل الأدباء المعروفين والذين لم يذكروا مناصبهم وقت المراسلة- وهى معلومة من تراجمهم- ، أمثال : رفيق العظم وفرح أنطون وشكيب أرسلان وغيرهم ، يتضح لنا تداعي قطاع كبير من الجمهور على اختلاف الطبقات والمهن على مراسلة مجلة الهلال . فهناك صغار الموظفين مثل رسالة أرسلان إسحق (صاحب أجزاخانة المحلة الكبرى) ، وكذلك محمد أفندى فاضل (صاغ بالسكة الحديد حلفا السودان) . كذلك هناك المهنيّين مثل الدكتور نصر فريد (حكيم عيون المنصورة) ، والمهندس قاسم هلالي (مهندس بعموم ري قبلي) . كذلك حضور طبقة كبار الموظفين مثل عبد الغفار رياض (قاض بمحكمة المنصورة) ، وعلى بك حيدر (وكيل مديرية النوبة) .

ولقد تميَّزت الصورة التي جاءت عليها مراسلات القُرّاء بتنوعٍ شديد ، حيث تراوحت بين المقالات والأسئلة والتعقيبات والتقارير وغيرها ، وفيما يلي شكل يوضح حصة كل نوعٍ من تلك المراسلات .

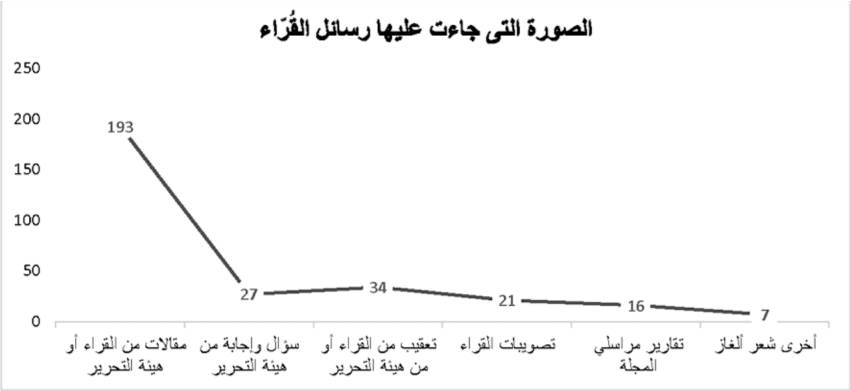

خلاصة القول : فإن تحليل رسائل القُرّاء من حيث الشكل ، يؤكد عمق التنوع في الموضوعات ومقدار الاختلاف في الصور التي جاءت عليها تلك المراسلات ، كما إن جنسيات المرسلين اتسمت بنفس القدر من التنوع وإن استأثر الشوام بالأغلبية ، ولعل ظاهرة التنوع ووضوح هوية المرسلين يعزز من مصداقية تلك الرسائل ؛ باعتبارها إحدى النوافذ لرَصْد الحالة المجتمعية والثقافية في تلك الفترة .

هيئة التحرير وتوجيه باب المراسلات

مع افتتاح جرجي زيدان مجلته دعا في صدر عددها الأول الكُتّاب العرب للمشاركة في مشروعه والمساهمة فيه . ومع ذلك ، ظل زيدان المساهم الرئيسي بل ربما الوحيد تقريبًا ، في كتابة مقالات الهلال . وقد أدى ذلك بالضرورة إلى بعض التكرار والسطحية وأحيانًا إلى ترجمات مباشرة من المؤلفين الأوروبيين(٥٠) . لذا وجد زيدان مقصده المنشود في باب المراسلات الذي استقطب أدباء رفيعي القدر مثل : شكيب أرسلان ، ورفيق العظم ، وفرح أنطون ، ورجل الدين الهندي شبلي النعماني وغيرهم ، لذا حرصت هيئة تحرير المجلة على الاهتمام بهذا الباب ، بل وتوجيهه في بعض الأحيان .

وقد ظهرت أولى معالم هذا الاهتمام في وجود بعض المُساجلات التي كان زيدان أحد طَرفيها ، ولعل أُولها نقاشهُ حول رواية «الأمير مراد» لخليل سعد أحد

الروائيين الشوام بمصر ، وهى رواية تاريخية كُتبت بالإنجليزية ، عرض لها زيدان مقرظًا ومنتقداً . ولًما كان المديح مما تألفه النفوس ، وتأنف من سمع النقد ، فإن حديث صاحب الهلال عن نشوز المؤلف عن السياق الزمنى الذى وضعه لروايته – وهو منتصف القرن الثامن عشر – وحديثه عن أماكن وعادات تعود إلى فترة كتابة الرواية ، مثل قوله عن بطلة روايته أنها تهذبت على يد خالتها التي كانت حينئذ معلمة في أحسن مدارس البنات في بيروت ، والمعروف أن مدارس البنات لم تكن في بيروت قبل عام ١٨٦٠ ، وكذلك وصفه طرابيش الرجال الحمراء التي كانت بالغة آذانهم ، والمعروف أن الطربوش لم يدخل سوريا قبل أوائل القرن التاسع عشر ، كما أن الرواية – حسب قول زيدان– بها بعض التكلف في ربط حوادثها(٥١) . وقد سارع خليل سعد بمراسلة الهلال فى العدد التالي مباشرة ، وذكر في رسالته : اقرظت روايتي فاستحققت شكري ، وانتقدتها فاستوجبت ثنائي . كيف لا وقد نبهتني إلى بعض ما فرط منى سهواً بعبارة تشف عن حسن المبدأ وقويم المنهج» ، ومضى خليل في رسالته محاولاً تبرير بعض ملاحظات زيدان ، وهو ما لم ينطل عليه وعبر عن ذلك برسالة نُشرت في نفس العدد(٥٢) .

ومنذ البداية ، أظهرت المجلة قدراً من سعة الصدر حيال رسائل قرائها ، ففي معرض الرد على رسالة فيها تصويب لمعلومات ذكرتها المجلة عن أصل كلمة مصر ، ذكرت المجلة : «يسرُّنا أن نرى أدباءنا وأفاضلنا يبحثون في شؤون بلادهم وتواريخهم ويتناظرون في إثبات حقيقة من حقائقها ، وهذه صفحات الهلال مفتوحة للنظر في كل ملاحظة يبديها حضرات القُرّاء سواء كانت نقداً أو اصلاحًا أو تخطئة ؛ لأننا نستحي من الحق إذا عرفناه إلا نرجع إليه»(٥٣) . بل إن هيئة التحرير عندما بدأ النقاش في قضية العمران كتبت : «نحث حضرات الكتَّاب الأفاضل على الكتابة في هذا الموضوع ؛ لأنه من الأهمية بمكان عظيم»(٥٤) .

أمَا تدخل هيئة التحرير في مسار الرسائل ؛ فقد جاءت أول بوادره في تعقيب أوردته هيئة تحرير المجلة فى باب المراسلات ، بعد خمسة أعداد من فتح هذا الباب ، ملتمسة العذر عن إغفال نشر بعض الرسائل لأنها تنشرها بحسب تاريخ ورُودها وأهمية موضوعها ، معللة بعض تقصيرها بعدم تذييل الرسائل ؛ بأسماء أصحابها أو ألقابهم أو محل إقامتهم ، لكنها لم تُضيق الأمر فذكرت : أن من أرادوا الرمز عن كتابة الاسم ، فهم مخيرون ولكن لابد من إيضاح مرادهم من هذا في ذيل رسائلهم . وواصلت المجلة تقديم الاعتذار للقُرّاء عن تأخر نشر رسائلهم[٥٥] ، ومنها رغبتها في نشر «تاريخ آداب اللغة العربية» لصاحب الامتياز جرجي زيدان ، واستحسان الإتيان عليه جملة واحدة ، بشكل لم يترك مجالاً لباب المراسلات في هذا العدد[٥٦] . كما حاولت المجلة وضع بعض الضوابط لرسائل القُرّاء ، منها ضرورة أن يراعوا فيما يكتبونه الاقتصار على المفيد وإهمال الإطناب أو الإطالة ، فإن ذلك مما قد يُلجئ هيئة التحرير إلى تأجيل درج رسائلهم أو إغفالها جملة . ولقد واصلت المجلة التأكيد بوضوح على أن المساحة الأكبر من المجلة ، هى لمنشئها ، وأن نشر الرسائل قد يُشكل طغيانًا على تلك الضرورة التي أملتها رغبة القُرّاء فذكرت : «إننا نؤثر أن تكون متدرجات الهلال كلها من قلم منشئه إجابة لاقتراح القسم الأكبر من حضرات القُرّاء ، فنتقدم إلى حضرات المراسلين الكرام أن يعذرونا إذا أغفلنا بعض رسائلهم[٥٧] . وكان طول المقالات مبرراً لتعطيل باب المراسلات في بعض الأعداد»[٥٨] .

ولقد برز تدخل فريق التحرير في باب المراسلات بالتصرف في مضمون الرسائل من خلال ذكر موضوعها دون عرض نصها ، كما ورد في تعليق الكثير من أرباب المعارف على اقتراح المجلة بشأن معرفة لسان الجاهلية بلفظ الجلالة ، حيث ذكرت المجلة : «مما يُسرنا أن أفاضل القطرين المصري والسوري عاملون معًا في تمحيص الحقائق والبحث فيها ، وقد جربنا ذلك أكثر من مرة واقترحنا عليهم أكثر من اقتراح ؛

فرأيناهم يتكاثرون على الأجوبة ويتبادلون الأفكار ويتناظرون بلا تعصب فيما يكتبون ، فالحمد لله على انقشاع ظلمات الجهل وائتلاف قلوب العثمانيين في ظل سلطان السلاطين رافع لواء الأمن والحرية والعدل والمساواة بين رعاياه مولانا السلطان عبد الحميد»[٥٩] . ولعل تلك الزيادة من قبل الهلال- بمدح السلطان- جاءت من قبيل وأد فتنة رمي زيدان بالتعصب ، عندما طرح سؤاله عن سر تسمية والد سيدنا محمد نبي الإسلام «عبد الله» وهو اسم لم يكن معروفًا لعرب الجاهلية . كذلك تتجلى صور تدخل هيئة التحرير في باب المراسلات من خلال إقدام المجلة على إغلاق باب النقاش بشأن حقوق المرأة في سؤال قد طرحته على القُرّاء يقول : هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟ وكانت العلة الخوف من ملل القُرّاء ، وأنهت النقاش بشكر كل من خاضوا عباب هذا البحث سلبًا كان أو إيجابًا ؛ لأن مرجعها جملة إلى المصلحة العمومية[٦٠] .

ولقد أَبان تدخل هيئة التحرير عن وجهها القاتم عبر التضييق على بعض الرسائل التي جاءت في اتجاه معاكس لرأى المجلة ، كما في قضية التمدُّن الإسلامي وبماذا قام؟ فقد علقت المجلة أثناء اشتعال النقاش حول تلك القضية : «ورد علينا بعد طبع العدد الحادي عشر رد من حضرة الفاضل محمد أفندي التارزى بالإسكندرية ؛ فلم يمكن درجه هناك . ونظرًا لأنه يقول فيه قول الشيخ الألفي تقريبًا مع وروده متأخرًا فاكتفينا بالإشارة إليه مع الشكر لحضرة المرسل . ونتقدم إلى حضرات المراسلين أن يعدلوا عن الإسهاب لئلا تضيق صفحات الهلال عن رسائلهم فيخسر القُرّاء فوائدها[٦١] . بل إن هذا المناظرة شهدت اعتراف هيئة التحرير بالتدخل في إبقائها داخل إطار النقاش العلمي والحيلولة دون انصرافها إلى روح الشطط فذكرت : «لا يسوء حضرة الفاضل (ر . ن) إغفال بعض ما جاء في رسائله ؛ فإننا كثيرًا ما أغفلنا رسائل برمتها وردت علينا دفاعًا عن أحد وجهي هذه المناظرة لاحتوائها ما تشم منه

رائحة التعريض ؛ فإن ذلك من مقتضيات الاعتدال وهى الخطة التي يتوخاها الهلال في سائر متدرجاته»[٦٢] .

كذلك نبهت المجلة قُرائها إلى ضرورة عدم الخوض في المسائل المنهي عنها وفق سياسة التحرير ؛ ففي معرض الاعتذار للقُرّاء عن نشر بعض رسائلهم ذكرت : «وردت علينا أسئلة واقتراحات ورسائل بعضها دينية وبعضها سياسيةو ولَّما كان موضوع الهلال لا يأذن بالخوض في هذه الأبحاث أهملناها ، وجئنا نلتمس من أصحابها عذراً ونرجو من حضرات المراسلين والسائلين أن يتجنبوا مثل هذه الأبحاث ؛ لأنها خارجة عن موضوع الهلال»[٦٣] . بل إن المجلة كانت تتوقف على نشر المراسلات التي لها طابع المساجلات ؛ إذا توقف أحد طرفي المساجلة عن الرد على اعتراضات خصومة . ففي قضية هل ترتفع منزلة المرأة بالعلم أكثر أم بالمال؟ ، ذكرت المجلة : «ورد علينا رسائل عديدة من بعض الأفاضل في هذا الموضوع لم ننشرها ؛ لأن المناظرة توقفت ريثما يرد الرد من حضرة النطاسي الدكتور أمين أفندي الخوري بعد نشر تلك الردود الموجهة إليه»[٦٤] .

ومن الظواهر التي تطلَّبت تدخل هيئة التحرير : ظاهرة الرسائل غير الموقعة ؛ فقد دفعت بالمجلة إلى مخاطبة جمهورها بضرورة أن يذيلوا كتاباتهم بأسمائهم كاملة ولهم الخيار مع ذلك أن تنشر أسماؤهم في ذيل تلك الرسائل كاملة أو يكتفى بحرف منها» محذرة أصحاب الرسائل التي «لا تكون ممضاة بعدم النشر»[٦٥] . ومع ذلك استمرت تلك الظاهرة ، فذكرت المجلة صراحة أنه يرد عليها رسائل بلا توقيع أو مذيلة بتوقيع غير واضح ، وأن مثل هذه الرسائل لا يُلتفت إليها ، وإن كان بعضها لا يخلو من فائدة ولكن تلك الفائدة تذهب ضياعًا للسبب الذى قدمناه[٦٦] . وجددت المجلة اعتذارها عن تأخير نشر الرسائل مؤكدة على ضرورة أن يلتزم المرسلون بما ذكرته المجلة غير مرة بشأن اختصار تلك الرسائل والاقتصار على الأهم من مواضيعها[٦٧] .

أهم موضوعات باب المرسلات

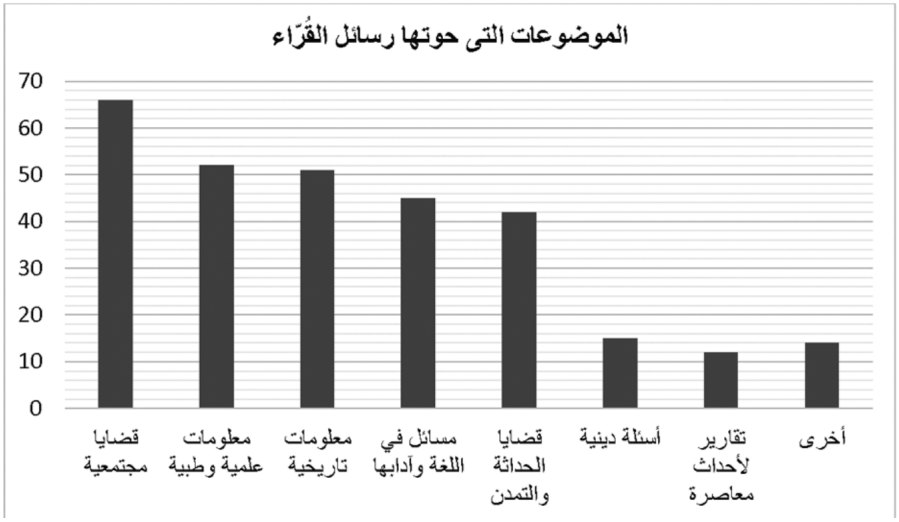

بالنظر إلى الموضوعات التي تضمنتها رسائل القُرّاء ، فإنها تراوحت بين القضايا المجتمعية وفى القلب منها حقوق المرأة ، وقضايا الحداثة وفى وَسَطتها موقف الإسلام من التمدُّن والأسس التي قامت عليها حركة التمدُّن الإسلامي ، كذا قضايا تاريخية ولغوية تشكلت بالأساس من الاشتباك مع روايات ومرويات جرجي زيدان في التاريخ واللغة ، وغير ذلك من القضايا . وفيما يلى توضيح لحصة كل موضوع من رسائل القُرّاء : بعد أن عرضنا لباب المراسلات من حيث الشكل ؛ فإننا نعرض لبعض القضايا التي تناولتها رسائل القُرّاء ، ولعلنا نلمس من خلال قراءة تلك الرسائل أن الدوافع إلى إرسالها تقع في إطار ما وضعه بيل ريدر Bill Reader في دراسته عن هذا الموضوع ؛ حيث نقد الآراء ، أو تصحيح الأخطاء ، أو التنفيس عن الإحباط ، أو طلب معلومات ، أو البحث عن المكانة من قبل بعض الكُتَّاب العاديين . ولقد اختيرت تلك العينة من القضايا بالذات ؛ لكونها فتحت بابًا من المساجلة بين عددٍ ليس بقليلٍ من القُرّاء ، وشهدت كتابة رسائل مطولة وحجج ودفوع ، أكسبتها طابع

المناظرة العلمية ، كونَ المُتبارين فيها من القامة الأدبية . ولعل هذا النوع من المساجلات الصحفية قد عرفته الصحافة قبل ظهور الهلال ؛ وذلك في سبعينيات القرن التاسع عشر ؛ حيث شنَّ يعقوب صنوع محرر جريدة «أبو نظارة زرقاء» هجوماً على صاحب «الجوائب» أحمد فارس الشدياق ، ومن ذلك قوله : «كيف تحط الساق على الساق – اسم كتاب للشدياق– وتنجس قلمك بتحرير أقوال في مدح من لا يليق مثل رياض وتوفيق» . لكن هذا النوع كان حكراً على الأدباء فقط ، وكان يقفُ عند حدود المناظرة بين اثنين ، بينما مناظرات الهلال – عبر باب المراسلات – كانت متعددة الأقطاب ، وأَمَّها الكثير من أهل المعارف والفنون واستمرت لفترة أطول .

الإسلام والتمدُّن : إشكالية بما قام به التمدُّن الإسلامي

لقد شكَّل مصطلح التمدُّن منذ وُفوده إلى بلاد الشرق هاجساً وجودياً أكثر منه تحدياً معرفياً ؛ ذلك أنه بات شرطًا مُحدداً للحضور الفاعل في التاريخ ، يلتقي في ذلك المتحمسون له والرافضون . ومنذ إطلالته الأولى ، وهو مُتسربل بغلالة كثيفة من الغموض ، وسط تشعب مداولاته حتى ليعسر على الباحث الإمساك بأطرافه . ولعلنا نلمس مدى إلحاح قضية التمدَّن والحداثة عند مُؤسّس الهلال في أسئلته الثلاثين التي انطلق منها بابُ المراسلات . فقد وضع لها عنوانًا وهو «مسائل تحتمل وجهين وفيها مجال للبحث» ، وفى ذلك إشارة للنسبية التي يقتضيها الاحتمال والعقل الذي هو عماد مجال البحث ، وكلتاهما – النسبية والعقل– مفردتان حداثيتان .

بدورها فصَّلت الأسئلة تلك الإشارة ؛ فجاء بعضها في هذا المسار ، مثل هل للمتقدمين فضل على التمدَّن الحالي أكثر مما للمتأخرين؟ ، هل يفيد دخول الأجانب بلادنا أكثر مِمَّا يضرنا؟ هل نفعت العوائد الإفرنجية أكثر مِمَّا أضرَّت؟ ونحوها . ومنذ أُولى المراسلات وقضايا الحداثة حاضرة ، فرسالة أسبريدون أبو الروس التي أجاب فيها على سؤال «هل الآداب بالطبع أم بالوضع» ، انتصر فيها لرأى رواد عصر التنوير

الفرنسي ، بل واستشهد بأقوال أحد أعلامهم فولتير . فقد ذهب المُرسل إلى أن الإنسان خُلق مجرداً عن كل مبدأ أدبي ، وأن الآداب- والمراد بها المعارف العامة والتزام حدود الحق والواجب- معانٍ اكتسابية عرضت للإنسان في دور الاجتماع(٧٠) . ولقد استتبع هذا الجواب رداً من الأديب نيقولا فياض ظهر فيه معبراً عن الطرف الثاني للحداثة ؛ حيث رمى أبو الروس بالنقل غير المُتبصر عن كتب الإفرنج ، وأن الإنسان له قوة خلق مميز عن الحيوانات والجمادات ؛ وهي التي رقته بما فيها من الاستعداد وما عساها أن تكون تلك القوة سوى العقل الإنساني ، الذي فُطر عليه ، والعقل مجتمع للعواطف والعواطف منشأ الآداب . فدور الاجتماع وما فيه من تعامل أكمل صورة الآداب لا أوجدها ؛ لأنها لو لم تكن مطبوعة فيه بالاستعداد لما كان أهلاً لأنْ يدرك أسرارها(٧١) .

لكن أكبر المساجلات حول قضية الحداثة جاءت عندما أرسل أحد القُرّاء مُستهجنًا فهم البعض لقضية التمدُّن ، فبات بعض الشباب لا يدركون من التمدُّن سوى التبهرج بأحسن الألبسة وأعلاها قيمة والمسابقة إلى الإسراف ، إنهم يرون أن التمدُّن لا يكون إلا في محلات اللهو والطرب ومعاشرة أهل الخلاعة(٧٢) . كانت تلك الرسالة فاتحة لنقاش طويل أخذ شكل المساجلة ، بعدما أماله أحد القُرّاء عن قضية التمدَّن بصفة عامة إلى السؤال عن طبيعة التمدُّن الإسلامي في صدر الإسلام ، وكيف قام؟ هل بالسيف أم بالقلم؟ واستملحت هيئة تحرير الهلال هذا السؤال ، مطالبة الأدباء الذين سيخوضون في عبابه أن يتوخوا فيما يكتبونه الاختصار المفيد(٧٣) .

كان أول المجيبين المفكر رفيق العظم ، الذى حاول التفرقة بين انتشار الإسلام وانتشار التمدُّن الإسلامي ، وإن كان كلاهما انتشرا - حسب رأيه- بالدعوة لا بالسيف ، فالإسلام أول ما ظهر ونودي به بين أقوام يأنفون الخضوع لأية رابطة كانت

من روابط الاجتماع ، سوى ما تدعو إليه العصبية المثيرة لنيران الشر الدائبة في هلاك نوع الإنسان ، فاستقبلوه بما تُستقْبل به الشرائع عادةً من المقاومة والرد ، حتى إذا أُخذ على أيْديهم وأفواههم بالحق ، وانصاعوا لكلمة التعاون والاجتماع ، كانوا من أنصار هذه الدعوة ؛ فقاموا لنشرها وتعميمها دون أن يُكرِهوا أحداً على قبولها . فالتمدُّن الإسلامي[٧٤] لم يكن في صدر الإسلام ، وأنه قام بالقلم لا بالسيف وأن الشريعة هي العامل الوحيد في ذلك ، وهي إنما تعممت بواسطة الأمة العربية – في صدر الإسلام– التي أثرت على أخلاقها وعوائدها تلك الشريعة تأثيراً سريعًا يدل على مقدار العلاقة المعنوية التي بينها وبين التمدُّن الإسلامي ؛ حيث جعلتهم في تلك المدة القصيرة يملؤون الأرض لغة ودينيًا وعلمًا وأدبًا وغير ذلك من الأمور الرافعة لمنار التمدُّن الإسلامي . لكن جواب «العظم» لم يرق لأحد القُرّاء وهو المُرسل(ر . ن) الذي زعم أن الآيات والأحاديث المتواترات تفيد أن الإسلام انتشر بالسيف ، وأن حركة التمدُّن التي اتبعته لما تكن لتقوم لولا فتح البلدان بالسيف ثم نقل معارفهم وعلومهم التي شكلت نواة التمدُّن ، وعليه تكون تلك الحركة قد مهد السيف لها السبيل ثم نمت وتوسعت بعد ذلك بالقلم[٧٥] .

من جانبه ، حاول «رفيق العظم» التأكيد على أن مشروعية الجهاد في الشريعة الإسلامية ليست حجة على أنها قامت بالسيف ، ويمكن إدراك ذلك من مطالعة سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع مَن أخذوا يقفون له ولأصحابه في كل مرصد وينالونهم بأنواع من الإيذاء . كما أننا علينا التفرقة بين الفتح الإسلامي ونشر الإسلام ؛ فالأخير لم يُحمل عليه أحد[٧٦] . وعضَّد الشيخ أحمد محمد الألفي كلام العظم حاشداً الكثير من الآيات التي تؤكد على حرية الاعتقاد ، وذاكرًا الكثير من الأمثلة التي حفظ فيها المسلمون للشعوب المفتوحة حقهم في اختيار معتقداتهم[٧٧] . وعاود معارضهما المراسلة مجدداً ، مفرقًا – مثل خصمه رفيق العظم– بين انتشار

الإسلام وانتشار التمدُّن الإسلامي ، فبالنسبة له انتشر الإسلام بالدعوة أولاً ثم نزلت الآيات تباعًا على مقتضى الأحوال مصرحة بالجهاد ، إذلالاً لنفوس الأقوام العاتية وإعلاء لكلمة الحق ؛ فإذا سلمنا بأن انتشار شريعة الإسلام بالدعوة أولاً فلا نرى ذلك الانتشار إلا يسيرًا جدًا بالنسبة إلى ما كان من انتشارها بالسيف بعد ذلك . فالإسلام لم يأخذ في الانتشار الواسع إلا بعد الهجرة ، وكان ذلك بالغزوات والسرايا . أمَّا التمدَّن الإسلامي ، فقد قام بعضه بالشريعة ، وبعضه نقل عن علوم الأعاجم بالقلم ، وكلاهما يدخلان في حكم القلم ، ولكن نظرًا لقيام الدولة الإسلامية بالسيف ، ولولا قيام الدولة ما توصل المسلمون إلى استخراج العلوم الأعجمية ولا توسيع نطاق العلوم الإسلامية ؛ فقلنا إن التمدُّن الإسلامي تأسس ونشأ بالسيف وتوسع بالقلم[٧٨] .

حاول رفيق العظم تبصرة مناظره : بأن القاعدة في الجهاد هي «الإسلام أو الجزية أو السيف» ؛ إذ الشرط الأخير بينه وبين الإسلام شرط الجزية الذي يندفع به القبول بالإكراه على الإسلام أو قيام الإسلام بالسيف ؛ ففي مصر عمل أهلها برأي ملكهم المقوقس واختاروا دفع الجزية إلى عمرو بن العاص ، وخضعوا لسلطان المسلمين ودخلوا في عهدهم دون أن يكره أحد منهم على الدخول في الإسلام . أمَّا التمدُّن الإسلامي ، فإنه قام في عهد العباسيين ولم تكن من الدول الفاتحة في الإسلام[٧٩] . ونَاصَرَ «الشيخ الألفي» صاحبه وأورد نصوص المعاهدات التي صالح المسلمون أهل البلاد التي فتحوها ، وفيها التأكيد على عدم الإكراه في الدين[٨٠] . وسجل (ر . ن) رفضه لتلك الحجج ، مُدَّعيًا أن قاعدة الجهاد بمنطق مناظره تخرجه عن الدعوة بالموعظة الحسنة ؛ لأن في تخيير المدعوّ بين الإسلام أو الجزية تكليفه ثمنًا ربما لا يستطيع القيام بأدائه ، فلا يزال مهددًا بالسيف[٨١] .

كانت آخر فصول تلك المناظرة رسالة لرفيق العظم جاء فيها : «إن مناظرنا

الفاضل يتمسك بظاهر القاعدة في الجهاد ، الذى اعتبره دعوة إلى الدين بالسيف ، مع صرف النظر عن الأحكام المقررة في مشروعية الجهاد والتي تلزمه الحجة وتنفى ما توهمه وذهب إليه . . . إن مشروعية الجهاد لم تختص بها الشريعة الإسلامية فقط ، بل سبق أن شرع الجهاد في شرائع الأنبياء السابقين . وختم العظم رسالته : «فقد عزمت إجابة لداعي الحق ودفعًا لما يخالج الضمائر من هذا القبيل ، على وضع رسالة خاصة ؛ لهذا أرجو من مناظرنا اعتبار جملتي هذه الآن ختام مناظرتنا التي لا يساعد على الإفاضة فيها ، بأكثر مما مر في الهلال الأغرب . واستجابت الهلال فعقبت بالقول : «ورد علينا رد آخر من الشيخ الألفي كنا نود درجه لو لم يختم سعادة رفيق بك المناظرة»[٨٢] .

طويت صفحة التمدُّن الإسلامي وبما قام ، وعادت من جديد المناظرة حول التمدُّن الغربي المعاصر ، فأرسل الشاعر محمد حسني العامري مُعرّضًا بالتمدُّن الغربي وآفاته ، داعيًا الشباب إلى الانصراف على تقليد الغربيين والتمسك بالآداب الشرقية[٨٣] . وعلى نفس المنوال نسج الأديب السوري عبد الله سليم يازجي ؛ لكنه ذيل رسالته بالقول : «ولا ينتج مما ألمعت إليه أنى أذم الغربيين وأمدح الشرقيين ، إذ لا يختلف اثنان في أن الغربيين ما زالوا مشمرين عن ساعد الكد والجد ؛ لتعزيز شأن العلم وهدم أركان الجهل ، فلا يمر بنا يوم لا نطلع على اختراعاتهم واكتشافاتهم ومآثرهم المفيدة ؛ لكنهم وإن كانوا حائزين قصب السبق على غيرهم من الأمم فإن لهم عوائد مخلة بعيدة عن التمدُّن الحقيقي لا ينبغي أن يقتفي الشرقيون آثارهم بها»[٨٤] . وبالمثل أرسل عطا الله أفندى إثناسيوس رافضًا الكثير من متلازمات التمدُّن الغربي ؛ لكنه ذكر بأن أهل التقوى منهم يجاهرون بمضار تمدُّنهم ، ويبذلون ما في وسعهم لاقتلاع تلك العوائد الذميمة المحطة بشأن تمدنهم ، لكن ما ينبغي أن نشدد النكير على الشرقيين فيه ، هو تقليد الغربيين في مثالبهم دون حسناتهم ، مما قد يعود علينا بالدمار والخراب»[٨٥] .

وتماشيًا مع اتجاهات رسائل القُرّاء ، أفرد جرجي زيدان مقالين تحت عنوان «آفات التمدُّن الحديث» ، لكن افتتاحية مقالته الأولى يُفهم منها الانتصار للتمدُّن الغربي فذكر : «لو نظرنا في أنواع التمدُّن على اختلاف العصور ، لما رأينا تمدَّنًا خلا من آفات ما زالت تنخر في بدنه نخر السوس حتى أماتته ، وذهبت بأهله إلى مهاوي الانحطاط» . وضرب المثل بآفات التمدُّن المصري القديم والتمدُّن الغربي ، ثم عقَّب بالقول : «ويزعم أصحاب التمدُّن الحديث ، أنه أفضل ضروب التمدُّن وأقربها إلى البقاء ؛ لأنه مُؤسَّس على العلم والعدل والحرية ، وهو قولٌ معقولٌ نرجو أن يكونَ صحيحًا» . ثم قال مدافعًا عن التمدَّن الغربي : «إن التمدُّن الغربي جاء هذه البلاد ، وهي في مهاوي الانحطاط على أثر استبداد المماليك ومن جرى مجراهم ، ولم يتناول في أول عهده إلا التعليم والتربية مع المحافظة على الحشمة الشرقية ، وأمَّا التهتك وخرق الحجب فلم يظهر إلا في أواخر القرن الماضي ، لما كثر تقليدنا للإفرنج حتى فيما ينافى طبع الشرقي»[٨٦] .

ولقد كان نقاش الهلال حول تلك القضية مُغريًا لأترابها من المجلات إلى مناقشة القضية عبر مقالاتها ؛ فنشرت مجلة الجامعة العثمانية عن مضار التمدَّن الحديث الذى أفسد أخلاق الإنسان عبر زيادة حاجاته ، فسعى إلى نيلها – الضروري وغير الضروري منها– بالغش والخداع والرذائل ، لقد أصبح إنسان هذا الزمان يتخذ من جثث إخوته مَراقي إلى أغراضه ومصالحه[٨٧] . ومن نافلة القول ، أن هذا النقاش كان باعثًا على أن يضعَ رفيق العظم رسالةً عن موضوع المناقشة ، افتتحها بالقول : «نشرت في جريدة الهلال جوابًا عن سؤال مؤدَّاه : هل التمدُّن الإسلامي في صدر الإسلام قام بالسيف أم بالقلم؟ ولم أتصدَّ للجواب عن سؤال السائل وقتئذٍ إلا رغبةً لكشف حقيقة يظهر من نفس السؤال أنها تهم السائل كما تهم كثيرين غيره ، فلم يقع جوابي عند بعض الكُتَّاب موقع القبول ، فتصدى للرد عليَّ فيما كتبت «ر . ن» ،

حيث حاول فيها إقامة الدليل النقلي على قيام الإسلام بالسيف ، وأن التمدُّن الإسلامي قام معه كذلك ، فعندئذٍ لم أرَ بدًّا من ولوجي في باب المُناظرة توصلاً لإقناع حضرته بأنه مخطئ فيما توهمه وذهب إليه ، وما زلت معه في أخذ وردٍّ حتى إذا اعترى قلمه الكلال أو كاد رأيته جعل يكتب بالبنان ما لا يوافقه عليه الجنان ، فاختتمت مُناظرتي معه ، بالوعد بوضع رسالة خاصة آتي بها على تفصيل ما أجملناه ، وإنني وفاءً بالوعد وضعت هذه الرسالة المختصرة»[٨٨] .

ولعل تلك المساجلة تحديداً قد دفعت بأحد قُرّاء الهلال إلى مراسلة المجلة طالبًا أن تُعبر المجلة عن رأيها ؛ فردت عليه بأنه لا تتجلى علاقة التمدُّن الإسلامي بالتمدُّن الحديث إلا بعد درس كل منهما درسًا جيدًا ، وسنفعل ذلك في جزء كامل من تاريخ التمدُّن الإسلامي[٨٩] . وهو الكتاب الموسوعي الذي شرع زيدان في كتابته ونشره على شكل حلقات متصلة في الهلال . ولم يقف الموضوع عند هذا الحد ، فبعد إغلاق باب المراسلات ، راسل الأديب السكندري سعيد أفندي سليم المجلة من أجل مزيد من الاستجلاء عن رأى زيدان من قضية الإسلام والحداثة ، فأرسل له سؤالاً يستطلع فيه رأى الهلال فيما ذكره كرومر في كتابه «مصر الحديثة» وجدلية العلاقة بين الإسلام والمدنية الحديثة ، وهل الإسلام يخالف مجاري التمدُّن أو يقف في سبيل الارتقاء الاجتماعي؟ . وجاء رد زيدان : «إذا تخالف الدين والمدنية ولم يكن بدٌّ من اجتماعهما فلا مندوحة عن تعديل أحدهما حتى يوافق الآخر ، فإذا اقتضت المدنية أمرًا يخالف قاعدة من قواعد الدين فعلينا أن نعدّل ذلك الأمر حتى يوافق تلك القاعدة أو نؤولها حتى توافقه . وأن أهل الإسلام اضطروا إلى تأويل بعض الآيات لتلائم بعض الأغراض السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية . فالإسلام دين متجدد ؛ فإذا اقتضى التمدُّن الحديث ما يخالف أحكامه يمكن تجاوز ذلك عبر التأويل والتفسير . فاللورد كرومر لو أنصف الإسلام لاكتفى بانتقاد ما هو شائع بين

المسلمين من عوائق التمدُّن واعترف بالنهضة التي نهضها عقلاؤهم لإزالة هذه العوائق . فلقد كتب قاسم أمين بوجوب رفع الحجاب عن المرأة المسلمة وترقية شأنها بالعلم والتربية ، وجاهر الشيخ محمد عبده بوجوب تفسير القرآن تفسيراً يوافق العلم الحديث وأفتى بمسائل عديدة تسهل المعاملة بين المسلمين وغيرهم من أرباب التمدُّن الحديث ، وكتب آخرون يقولون بفصل الدين عن السياسة لئلا يتخالفا . فالمسلمون في نهضة إصلاحية إذا ظلوا فيها ، لا يبقى بين الإسلام والمدنية تخالف ، ولا يخشى وقوفه في سبيل الارتقاء الاجتماعي»[٩٠] .

حقوق المرأة : وهل يحق للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟

من القضايا التي أُفرد لها مساحة كبيرة في باب مراسلات الهلال ، قضية حقوق المرآة . ولعل صاحب الهلال قد رام إلى جعل هذا الموضوع مادةً للنقاش بين قرائه عندما طرح في مسائله الثلاثين سابقة الذكر ، ثلاث مسائل تتعلق بالمرأة . كان أهمها سؤال الهلال : هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجل؟ . وقد افتُتح النقاش حول تلك المسألة بمراسلة تحمل توقيع (زكى . م) موطنه الآستانة العلية ، ونعتقد أنه الأديب زكى مُغَامز بك صديق جورجى زيدان ومترجم بعض أعماله إلى التركية ، وكان مُغَامز محل تقدير صاحبه ، فأثني عليه في كتابه «الرحلات الثلاث» قائلاً : «إنه من أدباء العرب الذين يحسنون الإنشاء بالتركية»[٩١] . بدأ المراسل بقوله : «توقعت منذ يوم صدور أول جزء من هلالكم الأغر ، أن يوافينا أحد أفاضل القُرّاء بحل المسألة (هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟) ، فانقضت السنة الأولى وها نحن نقتطف ثمرات الهلال الأغر في سنته الثانية ، ولم نقرأ لأحد بحثًا في هذا الموضوع ، مع أنه في مكانٍ من الأهمية ؛ لتعلقه بنصف النوع البشرى أو أزيد . وكنت آمل أن إحدى السيدات تتقدم منتصرة لذلك ، فلما لم أر أحداً من الجنسين تقدم ؛ فرأيتُ أن أكونَ لهما دليلاً» . مضى يُوضح رأيه في تلك المسألة بأنه يحق للنساء أن

يطلبن كل حقوق الرجال ؛ إذا كان لديهن الكفاءة للقيام بأعمال الرجال البدنية والعقلية . ثم يذهب بالشواهد إلى قدرتهن على فعل ذلك ، لذا يحق لهنَّ أن يطلبن كل حقوق الرجال[٩٢] .

لم يتأخر الرد ، فكتب الطبيب والأديب أمين الخوري رداً على حجج زكي مُغَامِز ، مؤكداً على عدم سلامة القول بقدرة المرأة على القيام بأعمال الرجل البدنية والعقلية . فبالنسبة للقوة البدنية ؛ فإن التشريح يعلمنا أن عظم الذكر أثخن وأكثر اندماجاً وألياف عضله أمتن وقوة لحمه أغزر وهيكله أكبر . أمَا القوى العقلية فهي أشد فرقًا ؛ فإن عقل المرأة محدود لا يتخطى ما تربت عليه وتلقته السنين الطوال . هذا ولا ننكر على بعضهنَّ الذكاء (المحدود) ، ولكنني آسف جداً على استعماله بغير ما فيه فائدة لهنَّ وللهيئة الاجتماعية ، فبدلاً من التطبيب والمحاماة وعلم الفلك والعروض والشعر . . إلخ ، يتعلمن ترتيب المنزل وتدبير أمر الأولاد . وختم قوله «وإني أعدك أيها الصديق الوفي بما يكفيك مؤونة سخطهن ، وهو كتابي الذي سيظهر قريباً (المرأة إزاء الرجل)»[٩٣] .

كان طرح موضوع حقوق المرأة قد تزامن مع تبلور حركة نسائية في الشام منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، عبرت عنها الأديبة مريم خالد بوضوح بقولها : «إن صرير أقلامنا الحاضرة سيدوي في وديان سوريا ، ويؤثر في آذان الهيئة الاجتماعية ؛ فعلينا أيتها السيدات بالتحفظ في كل أمر يحط شأننا ، وملازمة الخطة التي ترفع قدرنا ومقامنا . واعلمنَّ بأن الأنظار تراقبنا ، والإصلاحات تنتظرنا ، والمرأة مرآة الوطن ، فيها يظهر هيكله ، ومنها يعرف كيف هو ، ورجاؤنا أن نكون نحن الرابحات ، والمعترضون الخاسرين»[٩٤] . لذلك كان من المتوقع أن تُحدث رسالة أمين الخوري جَلَبة بين صفوف حركة نسائية يافعة تتلمس طريقها وتحشد أنصارها ، فراسلت الهلال الأديبة إستيرأزهري قائلة : «إنى وأيمُ الحق لذاهلة ومستغربة ومُخطئة

زعمه – تقصد أمين الخوري– بتحديد عقل النساء ضمن دائرة محصورة ، ولا أظن خياطة غير والدته ، خاطت له ثوب فطامه يوم أعدت له تلك الوالدة أول طعام ذاقة بعد الفطام . كيف وإنني كلما حولت نظري إلى السيدات – اللواتي شرفتُ بصداقتهنَّ– لا أري حكم حضرة الدكتور ينطبق عليهن ، فكم حضرت اجتماعات وسمعت منهن تفننًا في مواضيع تختلف بين علمية ودينية وفلسفية . وكم تبارى للجدال أمامي متناظران أحدهما من جنس حضرة الدكتور والآخر من جنسنا الضعيف القاصر عن نيل اعتبار حضرته ، فتبودلت البراهين وتنقلت المناظرات من موضوع إلى آخر وكانت المرأة نعمت المُناظرة ، إذا لم نقل الفائزة»[٩٥] . وقد شايع الأديب جرجس إلياس الخوري رأي استير واسمًا رأي أمين الخوري بالتحامل النابع من قسوة القلب ، فمع قلة الوسائط التي توافرت للنساء في الماضي فقد اشتهرت الكثيرات منهنَّ ، وهو دليل على أن في المرأة من جراثيم الهمة والإقدام ما لو توفرت لها الوسائط لسبقت غيرها بمراحل . ثم إنه ظهر من سياق عبارة المُناظر أنه يريد أن يكلف المرأة بأعمال الرجال وهي قائمة في مركزها – كربة منزل– ، وهذا ظلم لأن المسألة هي هل يحق للمرأة أن تقوم بأشغال الرجل إذا تفرغت لها؟ . وعندي أن المرأة تقدر أن تقوم بذلك ما دامت البراهين العقلية والنقلية تؤيد أن عقلها مساوٍ لعقل الرجل . وأمَّا قول المعترض بأن الرجل له من الصفات التشريحية ما يفوق المرأة ؛ فذلك لا يقف في سبيل قيام المرأة بأشغال الرجل ؛ لأن مراكز الهيئة الاجتماعية لا تتوقف على قوة اللحم وكبر الهيكل ، بل على العقول الثاقبة والرايات السديدة ، فلا تستضعفوا المرأة لضعف بنيتها ، ولا تستقلوا قوتها للطافة جبلتها ؛ إن الصواعق تصدر عن رقيق السحاب ، والزلازل عن لطيف البخار[٩٦] .

كانت حجج أمين الخوري مبنيةً على أمور طبية مجردة ، فعاود سردها مجدداً في معرض رده على مُناظريه ، فقال : «إنني لم أخرج فيما قلتهُ عن طريقة زملائي

الأطباء بتشخيص المرأة تشريحيًا وفسيولوجيًا وأنثربولوجيًا ، فمما لا مُشاحة فيه : أن القوة العقلية تابعة لحالة الدماغ ومركزها في الجزء المقدم منه ؛ فلننظر في هذا العضو وبما يتعلق به تشريحًا في الرجل والمرأة نقلاً عن جمهور العلماء . فسعة جمجمة الرجل ١٤٤٦ سنتيمتر ووزن دماغه ١٣٣٣ جرامًا ، في حين سعة جمجمة المرأة ١٢٢٦ ووزن دماغها ١٢١٠ جرامات» . فعليه قرَّر جمهور الحكماء والطبيعيين بالإجماع أن الرجل أعقل من المرأة . وساق الخوري أقوال أهل الطب حتى وصل إلى داروين الذى قال بالفرق الكمي بين الرجل والمرأة ، وهو مذهب شبلي شميل والذى عبر عنه صراحة في مجلة المقتطف[٩٧] .

وحاول الخوري أن يخفف من وطأة كلامه على أنصار المساواة بالقول : «فالمرأة ولا مُشاحة بهجة الكون وزينته ، فهي الزهرة الزاهرة التي تبهرج الكون بألوانها وتنعشه بشذا ذكي عطرها ، وهي المحافظة على تجديد بل ديمومة الجنس البشري ، بل هي شعاع الحب الذي يبدد بنوره ظلمة بلادة القلب ، فهي التي أمهرها الله جمال الصورة وكمال الشكل ، فبجمالها الساحر ودعتها الآسرة ونتاجها المعزى نالت دولة عز لا تزول وسلطان كرامة لا يقيد وقوة نفوذ لا ترد . ولا يستنتج أنى أضاد تعليم البنات ، كلا بل إنني من الجازمين المعضدين لهذا المشروع المعترفين بلزومه . لكن وضعها في المدرسة تمضي زهرة عمرها وسني نموها منكبة على الدرس والمطالعة قائمة بغرف فاسدة الهواء ؛ مما يضعف قوتها وتقل صحتها فتذبل زهرة خمائلها وتزول نضارتها وينهد ركن عزها ، فتأبى منظرها العين ويتجنبها الجنس القوى»[٩٨] .

جاء الرد الأكثر بسطًا على منطق أمين الخوري من قِبل الأديب جبر ضومط صديق جورجي زيدان ، فكتب رسالة مطولة ، ومما جاء فيها : «لا شك أن الحقوق مترتبة على العدالة ، فإذا عُدمت العدالة عُدمت هذه الحقوق المترتبة عليها . وإذا حددنا مجمل حقوق الرجل في الهيئة الاجتماعية حينئذ ننظر فيما إذا كان يحق

للنساء أن تطلب تلك الحقوق أم لا ، وفيما إذا كان من العدالة أن يساوين الرجال فيها أم لا» . ثم عرض ضومط ثلاث حقوق أساسية وبديهية من وجهة نظره ، وهي : حق المحافظة على الحياة ، وحق المحافظة على سلامة العقل وسلامة البدن ، وأخيراً حق تقوية قوى العقل والبدن بكل الوسائط الممكنة ليبلغ كلاهما إلى أشدّ ما يمكن أن يبلغاه من القوة . وتلك حقوق لا يلزم من التسليم بأن للمرأة أن تطلبها وتساوى فيها الرجل أن تساوى الرجل فعلاً في قواه العقلية والبدنية ، ولا أنها تبلغ بالتربية والتهذيب مبلغ الرجل القوى منها عملاً وبدنًا ، كما لا يبلغ الرجل الضعيف بالتربية والتهذيب مبلغ الرجل القوى إذا تربيا كلاهما وتهذبا . وإذا سلمنا للنساء بتلك الحقوق ، فإني لا أرى وجهًا لسلبها سائر حقوق الرجل من حق التملك والتنقل والاعتقاد وغيرها ، ذلك لأن الحقوق جميعها مترتبة إمَّا رأسًا أو مآلاً على الحق الأول وهو حق المحافظة على الحياة» ، وختم المُرسل بقوله : «فأني أرى أن حجة الضعف لا تقوم دليلاً ، ولا تكفي لوحدها في منع النساء من طلب حقوق الرجال في الهيئة الاجتماعية»(٩٩) .

ولقد تواصلت الرسائل النسوية المنتقدة لمنطق أمين الخوري ، واختار بعضها عدم مراسلة الهلال ، وإن لم تتجنب في افتتاحيتها على التأكيد ، أنها مرسلة في سياق الجدل الذي أثارته الهلال . فكتبت زينب فواز : «وجدتُ في الهلال مقالة للدكتور أمين أفندي الخوري ، وقد تحامل فيها كل التحامل على جنسنا النسائي ، وأظهر ما في قلبه من الحقد ، فليس للمرأة مانع من صغر جسمها ورفاهية قواها يمنعها من التداخل بأشغال الرجال ، وإنما جعل الله هذا لرقة في جسمها زيادة في جمالها ، لا لأجل أن يمنعها بها عن الاشتراك في أعمال الرجال . وأمَّا أسفُك على استعمال النساء بغير ما فيه فائدة لهنَّ ولا للهيئة الاجتماعية ، فبدل التطبيب والمحاماة وعلم الفلك والعروض . . إلخ يتعلمن ترتيب المنزل وتدبير الأولاد ، أثابك الله أيها

النصوح . يجب أن تعلم أننا نصف العالم الإنساني أو نزيد ، فإن كنَّا كذلك فقد أتعبنا المتكلين بأرزاقنا من جهة ، وبتحمُّلنا أثقال الفاقة من جهة أخرى ، فإذا وجدت الطبيبة مثلاً تتعاطى صنعتها ، فانظر إلى منفعتها للهيئة أولاً ، وكم تنفع نفسها وزوجها وأولادها ثانيًا . أمَا منفعتها للهيئة فكما تعلم أنها في الولادة لو تعثر الأمر على الداية استعانت بالطبيبة ، فيكون بحسن صناعتها وتوفيق الله نجاة الوالدة والجنين معًا ، ولها مسائل خصوصية في مداواة النساء وفي أشغال الأقسام ، مثل كشفها على المتوفَّيات وغير ذلك ، ولولا منفعتها لما اختصتها الحكومة في خدمتها»[١٠٠] .

وخصصت مجلة الفتاة ردًا مُسهبًا على رسالة الخوري بقلم الأديبة مردم الأنطاكي ؛ ومما جاء فيه : «بينما أقلب الطرف في مجلة الهلال عثرت على مقالة للدكتور أمين الخوري ، فتلوتها ثلاثًا لعلي أجد في الإعادة إفادة ، فلم أرَ بها قصدًا إلا إذلال المرأة تعمدًا ونسبة جنسها النسائي إلى الحيوانات البكم . ومن قوله إن المرأة ذات عقل محدود ، وهذا السهم الخارق للقلب بل للعظم على جنس يبلغ مقدارهُ ٧٥٠ مليونًا ، لا أظن امرأة من اللواتي اشتهرن بنفائس الأفكار ودرر الأقلام ؛ ألا تنهض مطالبة بشرفها وشرف جنسها . إن عمل الرجل ليس بدليلٍ على قوة بدنية ، بل هو من قوة الاستمرار المدفوع إليه بالحاجة ، والبرهان ظاهر على إنَ المرأة قادرة على كل عمل يقدر أن يعمله الرجل في المركز الذى هي به ، من حيث طبقات الناس أو من حيث العلم والتربية أو من العادة التي ألفها كل منهما ، قبل أن يدبّ وبعد أن يشبّ»[١٠١] .

وفي المقابل ، استبسل أمين الخوري في الدفاع عن موقفه ، حاشدًا أدلة طبية تؤكد صحة مذهبه . وهو الأمر الذي اعتبرته إستير أزهري في مراسلة جديدة دليل إفلاس . فقالت : «إن مسألة الدماغ من المسائل الغامضة ولا يصح الاعتماد عليها في

هذه المناظرة ؛ فللعلماء فيها مذاهب شتى من حيث علاقتها بقوى العقل . إن غذاء العقل إنما هو العلم ، والعلم إنما يحصل بالاكتساب ؛ فنمو العقل إذًا موقوف على الاكتساب ، ولما كان نمو العقل يزيد في حجم الدماغ حملاً على أن كل عضو يزداد نموه بزيادة عمله ، لزم من ذلك أن زيادة حجم أدمغة الرجال منوط بأسباب الاكتساب ، والاكتساب لا يتفاوت بين الرجل والمرأة إلا من حيث الاجتهاد . ونحن نعلم أن النساء منعن وسائل الاجتهاد وأسباب التحصيل أحقابا عديدة ظلمًا واستبدادًا ، فلا بدع أن أثر ذلك في نقص أدمغتهن على توالى القرون لا يعتد به . ثانيًا لأن الدماغ لا يصح اتخاذه دليلاً على نمو القوى العاقلة ؛ لأن البهائم أكبر دماغًا من أكثر الناس عقلاً» . وشايعت كاتبة اختارت لنفسها اسم «معتدلة»- منطق إستير وطالبت الخوري بالعدول عن موقفه(١٠٢) .

ولم يجد الخوري طوال المناظرة من يَشُد أزره ، إلا أن مراسلة من امرأة سكندرية تدعى بهية كانت له نصيرًا ، إذ قالت : «إن الرجل يفرق عن المرأة وهى تفرق عنه بالطبع ، وهذا الفرق يبقى إلى ما شاء الله لا يعتريه نقصان ولا يخالطه بهتان ، وهو وأيم الحق حكمة فقد اختص الرجل بشيء واختصت المرأة بشيء» . ثم تقول مستنكرة : «فهل تريد فتاة الشرق - وما أظنها تريد - أن تساوي الرجل في حقوقه السياسية والإدارية والعملية ، مثل تخصيصها في تولية أمور الممالك ومنصة الأحكام والقضاء والبقاء خارج منزلها تقضى وتحكم وتنظر في خير الأمة والشعب . . وعلى فرض قبل الرجل بذلك وعلى فرض كنا قادرات عليه ؛ فمن يدبر أعمال البيت - تلك المملكة الصغيرة- من يجير الطفل الصارخ الطالب لبن أمه ، من يحنو على الرضيع ومن يربيه ويعتنى به؟ الرجل! . ماذا نطلب : أن نتعلم ونتنور في حالة بيوتنا لنقوم خير قيام بواجباتنا ، ما أظن الرجل بمانعنا بذلك . أخشى على حقوقنا من الضياع إذا طلبنا فوق حقوقنا . فبالله ألا اقتصرنا مطالبنا على المفيد النافع ، وعلمنا ماذا نطلب لنطلبه بحرارة وصدق ، بدل من أن نقتل الوقت الثمين ونملأ أعمدة

الجرائد في طلب مساواتنا للرجل»[١٠٣] . وكتب الخوري رسالته الأخيرة - بناءً على طلب المجلة- في هذا الموضوع مستفتحًا إياها : «لم اتعرض للرد على هذه المسألة إلا لإثبات حقائق تجاهلها العارفون تزلفًا وجهلها الساذجون . . ومن سوء البخت أننى لم ألق - فى رسائل المناظرين- إلا شروداً مغالطًا أو نفوراً ساخطًا أو سواداً ناقمًا . . ولم أر بين حضرات المناظرين مَن تعرض لدحض ما قلته»[١٠٤] .

ويبدو أن الهلال لم تَنل مَرامها من تلك المناظرة ، فأرادت أن تجعل لها جولة ثانية . فطرحت سؤالاً ظاهره المغايرة عن القضية الأولى وباطنه المسايرة ، وكان السؤال هل تعلو منزلة المرأة بالعلم أكثر أم بالمال؟ . ومن الرسالة الأولى اشتبك مُرسلها سليم بشارة الخورى مع القضية الرئيسة لهذا السؤال ؛ وهى حقوق المرأة في المجتمع الشرقي ، فقال : «في عصرنا هذا زادت منزلة المرأة علواً بما اقتبسته من العلوم حتى أنها قامت تجارى الرجل أعماله وتنازعه حقوقه . . ولقد اعتنى الرجل على توالي الأيام باكتساب الوسائط المادية ، تاركًا للمرأة الاهتمام بالأدبية منها . فبعد أن عاشت أجيالاً تحت نير الجهل همت رويداً رويداً في اكتساب المعارف ؛ فخلعت عنها أثواب الخمول واجتهدت بأن تسير على طريق التقدم والعلم ، حتى أظهرت كفاءة طبيعية لاقتباس العلوم على اختلاف مواضيعها فنالت منزلة اعترف بعلوها الرجل ، ولما يكن للمال من ذلك نصيب»[١٠٥] . هكذا سُحِب النقاش إلى حيث أرادت هيئة تحرير المجلة ، وكتب الصديق القديم لجورجي زيدانَ ؛ المحامى «إبراهيم جمال» رسالةً محافظةً ذكر فيها : «إن التعليم الحالي لنساء بلادنا إذا لم يكن مضراً لهنَّ فهو وعدمه سيان ، وأن الفتاة العاقلة المهذبة عندنا ، هي أفضل بكثير من المتعلمة التي خرجت من المدرسة بعد أن قضت فيها سني الصبا ، وقد نسيت لغتها الوطنية وأبدلتها بلغة أجنبية ؛ فلا يهمها غير قراءة كتب الرومان وإتقان الاتيكت والدنص . هذا هو العلم الذي ينفقن أهلهن عليه المال وينفقن هن على تحصيله السنين الطوال ، ونتيجته أنهن يتعلمن ما لا حاجة به لهنَّ ويغفلن ما تقتضيه وظيفتهن . أليس الأجدر لهنَّ أن

يبقين على التربية القديمة ويتعلمن على أيدي أمهاتهن ما تقتضيه وظيفتهن من الأعمال المنزلية والأشغال البيتية» . ومرة أخرى وجد الدكتور أمين الخوري في تجدد النقاش ضالته ، لاستكمال مناهضته للنسوية العربية الناهضة . ومن البداية طَالبَ من يقدم على الكتابة في هذا الموضوع ألا يتهيب ثورة الجنس اللطيف ، وألا يعمد إلى المصانعة ، وبالنسبة له فإن قوة المرأة في قلبها ومركزه العواطف ، وقوة الرجل في دماغه ومركزه القوى العقلية ، ومما أكدته التجارب أن نمو أحد هذين المركزين يضعف الآخر ؛ فمن نما عقله قلت عواطفه ، ومن نمت عواطفه قل عقله . ومعلوم أن العلم ينير العقل ويقويه ويزيد الإدراك ؛ فيضعف العواطف وهذا من حاجيات الرجل الذي لا غنى له لحفظ مركزه ، كما أن العواطف من حاجيات المرأة تستجلب بها رضى زوجها وشغفه وتصبر على مضض تربية أطفالها[١٠٦] .

كانت أراء الخوري سبحًا عكس تيار النسوية الآخذ في الانتشار ، بعد أن تلقفه عدد ليس بقليل من المثقفين بالقبول الحسن . فراسل الأديب فرح أنطون الهلال للرد ، وجاء رده محافظًا اتفق مع الخوري في الأدوار الاجتماعية للمرأة ؛ لكنه أكد على أن السبيل لتنميتها المزيد من العلم ، فالزوجة لا تعجب الزوج العاقل ولا ترضيه إلا بصفاتها وأخلاقها ومقدرتها على تربية أولاده وتدبير منزله ، ولا يتم ذلك إلا بالعلم الصحيح والتربية الصحيحة[١٠٧] . ولقد أمَّنت لبيبة ماضي على هذا القول وزادته في الحجج بسطة ، فالمرأة – بحسب قوله – لا تحتاج إلى رقة العواطف أكثر من الرجل ؛ لأن الواجبات العائلية المطلوبة منها تستلزم عقلاً ودراية مع الثبات والصبر ؛ وذلك لا ينال عن غير طريق العلم ، أمَّا رقة العواطف فهى غريزية فيها ولا يستطيع العلم أن ينزعها منها بل هو يزيدها كمالاً[١٠٨] . وعضَّدت قولها الأديبة عفيفة –أظن– برسالة أوضحت فيها فضل العلم في ترقية سلوك المرأة [١٠٩] .

ورغم إحجام الهلال في شخص صاحبها عن ولوج باب المناظرة ، إلا أن

جرجي زيدان كان له موقفٌ واضح من الحركة النسوية ومطالبها ، فقد أورد المؤرخ توماس فليب خطبة لزيدان إبان دراسته بكلية الطب بين عامي ٨٢/ ١٨٨٣ في إحدى جمعيات بيروت ، شدّد فيها على تساوي القدرات العقلية بين الرجل والمرأة ، وأشار إلى نجاحات الطالبات والباحثات في أوروبا وأمريكا . وفيما يتعلق بصغر حجم دماغ المرأة ، فقد جادل بأنه إذا حصلت المرأة على فرصة لاستخدام أدمغتها بشكل أكبر ، فسوف تتطور وتنمو أكثر[١١٠] . كما عبر جرجي زيدان عام ١٩٠١ عن سعادته بما كتبه قاسم أمين ، واعتبر النجاحات التي حققتها الحركة النسوية في الشام دليل على صدق دعوى صاحبه ، فكتب : اهذا ما أصاب المرأة في سوريا في أثناء انتقالها من عصر الجهل إلى عصر العلم ، ولم يعترف الناس بفضل علمها حتى اكتهل أهل الجيل الأول وشبَّ أهل الجيل الثاني ، فأصبح تعليم المرأة عندهم أمرًا مستحسنًا بل هو فرض واجب لا يختلف في صلاحيته اثنان ، وأصبحت المرأة السورية ربة عائلتها وزينة منزلها وواسطة عقد الاجتماع»[١١١] . بل إن زيدان له مقالة ضافية عندما نشر كتاب قاسم أمين «أسباب ونتائج» ، بيَّن فيها بجلاء مسايرته لما كتب قاسم ، فقال : «ظهرت كتابات قاسم فشغلت الألسنة والاقلام عامًا أو عامين تنبهت فيها العقول وثارت الخواطر ، وقد لاقى من العقلاء إعجابًا كثيرًا فنصره بعضهم بألسنتهم وأقلامهم وسكت الآخرون مجاراة للعامة ونصرائهم . ثم سكت الناس لا عن إهمال أو إغفال ؛ ولكنها فترة الحضانة ريثما تتكيف عقول الأمة لقبول تلك الآراء ، كالتلقيح بالجواهر النافعة ، فإنه يحدث عند دخوله البدن تهييجًا وقد يولد صديدًا ثم يسكن في الظاهر ويعمل عمله رويدًا رويدًا»[١١٢] .

نقد روايات ومرويات جورجي زيدان

استأثر جرجي زيدان بتحرير معظم مقالات مجلته ، ووجهها صوب مجالات شتى من العلوم وإن خص التاريخ والأدب بالحظ الأوفر . ولقد تعرضت روايات زيدان

ومروياته لنقد قرائه عبر منصة باب المراسلات ، كانت فاتحة هذا النقد في مطلع عام ١٨٩٧ ، عندما أوردت المجلة شكرًا لمن كتبوا إليها بشأن «رواية فتاة غسان» وعقبت بالقول : «قد شممنا في بعض كتب الأصدقاء رائحة الاستفهام عن بعض ما نشرناه ، والجواب أن ما أوردناه ونورده من الحقائق التاريخية في هذه الرواية ، منقول عن مؤرخي الإسلام إمَّا حرفيًا وإمَّا معنويًا ، كما يفهم مما نورده من أسماء المؤرخين في ذيل كل صحيفة ، وخصوصًا الحوادث الإسلامية ؛ فإن مصادرها إسلامية محضة . لأننا أبعد الناس عما يذهب إليه بعض الإفرنج ، في تأويل تلك الحوادث واستنتاج ما يستنتجونه منها»[١١٣] . لكن ما أجملته المجلة في تلك الرسالة جاء بعد ذلك مفصلاً ؛ فقد نشرت رسالة من الشيخ عبد الفتاح الجميل إلى صاحب الهلال مبديًا ملاحظات على روايتي : «أرمانوسة» و «فتاة غسان» . فعلى الأولى ذكر المُرسل : «أنكم اقتصرتم فيها أخيرًا على صلح عمرو بن العاص مع المقوقس ، وأخذه الحصن صلحًا ، ولم تذكروا فتحه الإسكندرية ؛ فقد أخذها عنوة مرتين وقد يتوهم البعض أنكم اقتصرتم على ما ليس للعرب فيه كثير فضل . كذلك عللتم هزيمة الروم أمام العرب بضعف الروم ؛ بسبب حروبهم مع الفرس والصراعات الدينية داخل الإمبراطورية فقط . أمَّا في الرواية الثانية ، فقد ذكرتم أحاديث ضعيفة مثل قصة الغرانيق» . وجاء رد زيدان : بأن وقوفه عند فتح الحصن العرب ، وأمَّا حديث الغرانيق فذكره في الرواية لا يعني تسليمنا بصحته[١١٤] .

واستمر نقد مرويات زيدان للتاريخ الإسلامي ، فوردت إليه رسالة ترد على ما ذكره في مقالته «الإمام علي بن أبي طالب» تقول : لقد قلتم إن «قريش» كانوا على بابه ينظرون إلى داخل البيت فيرون عليًا على الفراش ، وعليه البُرْد وهم يحسبونه النبي ، وفى اليوم التالي عرفوه فقالوا لو خرج محمد لخرج بعلي معه فلم يخرجوا في طلبه . . والمحقق عند المسلمين كافة أنهم خرجوا في طلبه إلى أن انتهوا إلى الغار ،

ووقعت هناك إحدى معجزات النبي . وردّت الهلال بأن عبارة فلم يخرجوا في طلبه ، تفيد أنهم لم يخرجوا إذ ذاك ؛ أي وعلى نائم والبُرْد عليه ، وذلك لا يمنع خروجهم بعدئذ(١١٥) .

ومن المساجلات حول مرويات زيدان ، حديثه في مجموعة مقالاته «تاريخ آداب اللغة العربية» أن اللغة في العصر الجاهلي امتازت بخلوها من اسم الجلالة ، ولا نعلم وجه تسمية والد محمد نبي الإسلام «عبد الله» ؛ على حين أن الجاهلية كانوا يسمون في مثل تلك الحال بإضافة لفظ العبد إلى أسماء آلهتهم ، ولم يكن لفظ الجلالة معروف إلا في النصرانية ، ولعل ذلك يكون خطأ من الراوين أو تساهلاً من الناقلين أو لسبب قد فاتنا علمه(١١٦) . ولقد أجابه القاضي عبد الغفار بك رياض قاضي محكمة المنصورة – بما فاته علمه ، قائلاً : «إن عرب الجاهلية ليسوا سواء ؛ فمنهم المنكر لوجود الله ، ومنهم المعتقد بوجوده ؛ لكنهم لا يعتقدون بالبعث بعد الموت ولقد أخبر عنهم القرآن بالقول : ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ﴾ ، بل إن أصنام الجاهلية كانت مسعى للتقرب لله ، فقال تعالى : ﴿وَالّذِينَ اتّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرّبُونَا إِلَى اللّهِ زُلْفَى﴾ . ولقد ذكر ابن الأثير الكثير ممن سموا بعبد الله قبل الإسلام ، مثل : زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله ابن كنانة(١١٧) .

ومما أثْرت المجلة الجدل حوله ، مسألة القطع بأن الإسكندر الأكبر المقدوني هو ذو القرنين المذكور في القرآن ، فعلى مدى عددين روجت لهذه المسألة . بل إنها وضعت على غلاف هذين العددين صورة الإسكندر المقدوني ، وتحتها إسكندر الأكبر «المكدوني» المعروف بذي القرنين(١١٨) . ولقد ردّ أحد علماء الأزهر في حينه ، وهو الشيخ أحمد محمد الألفي ، فذكر أن ذا القرنين الذي حكى عنه القرآن أحد ملوك قبائل حمير من اليمن ، وأنه اجتمع مع النبي إبراهيم عليه السلام وعانقه كما ورد في

الصحيحين ، وهو مختلفٌ في نبوته . أمَّا إسكندر الروم الملقب بذي القرنين أيضًا ، فهو من ملوك اليونان وفلاسفتهم ؛ لأنه تلميذ لأرسطو ، وبينه وبين ذي القرنين ألف وتسعمائة وثمان وخمسون سنة تقريبًا ، ومؤرخو الإفرنج نقلوا تاريخه ولم ينسبوا إليه بناء السد المذكور في القرآن[١١٩] . ومع ذلك ، ظلت المجلة على رأيها متخذة من كتابات مرسلة لبعض المؤرخين المسلمين دليلاً على صحة دعواها ؛ فكتب زيدان : «إن مفسري القرآن قالوا إن ذا القرنين الوارد ذكره في القرآن ؛ إنما هو إسكندر «المكدوني» لتشابه بينهما في العظمة والسطوة ، على إنهم في اختلاف من حيث زمن وجوده وفى كونه نبيًا أو غير نبي»[١٢٠] . وفى الحقيقة ، فإن بعض كتابات زيدان في التاريخ العام لم ترق حتى للأوروبيين ، فكتب مارتن هارتمان يقول : بالرغم من أن زيدان قد أهَّل نفسه بشكل جيد ، إلا أنه من المؤسف عدم رجوعه في الكثير من دراساته إلى المصادر الأصلية والاعتماد على الكتب المدرسية الأوروبية[١٢١] . لكن ما يحسب للمجلة استمرارها فى نشر مراسلات فيها انتقاد لما تنشره مطبعة الهلال من كتب ، حيث نشرت رسالة تصف تلك المطبوعات بالبعد عن هدي المجلة ومخالفتها ثوابت الدين ، وردت مطبعة الهلال على لسان متري زيدان : بأنها تقوم بمراجعة مسودات الكتب قبل نشرها في مطابعها[١٢٢] .

وما كادت الهلال تفرغ من نشر حلقات رواية «عذراء قريش» حتى تقاطرت رسائل القُرّاء إلى مؤلفها ، والذي عمد إلى انتقاء بعض الإشارات من الرسائل ولم يُورد نص أيٍّ منها ، واكتفى بالقول : «لم يكد يصدر الهلال وتتداوله الأيدي ومعه الجزء الأخير منها حتى انهالت علينا رسائل حضرات القُرّاء وكتبهم ، يشكون فيها إلينا ما كان لنهايتها الحزينة من التأثير على عواطفهم ، حتى أذرفوا الدمع وباتوا حزانى» ، ولم يذكر شيئًا عن اشتباك تلك الرسائل مع صحة الأحداث التاريخية التي قامت عليها الرواية ، خلا عرضه لنقد تاريخي واحد ورد عليه»[١٢٣] . ولَّما كان

باب مراسلات المجلة بخصوص تلك الرواية قد أوصد أمام القُرّاء ، فإن بعضهم اختار مراسلات أترابها من أجل إيصال رأيهم . ومن تلك المراسلات التي ردّ عليها جرجي زيدان ، ما نشرته مجلة الموسوعات تحت عنوان «انتقاد تاريخي» بإمضاء «مؤرخ») ، وفيها ذكر المُرسل تحفظه على الصورة التي أورد بها زيدان مجتمع الصحابة واختلاقه لبعض الحوادث ، وأن العودة إلى المصادر التي ترد في الرواية عقب بعض الجمل ، تشهد على المؤلف أنه نقل عن أشياء وأتي بأخرى من عنده . وردَّ زيدان على منتقده : بأنه من فروض مؤلفي الروايات التاريخية مزج الحقائق التاريخية بالحوادث الغرامية ، مزجًا يوهم وقوع تلك الحوادث فعلاً بحيث يتعذر تميز الواقع من الموضوع . ونقول على رؤوس الأشهاد (ولا فخر) أننا نكتب هذه الروايات ونحن نحسن القصد ونخلص النية ، ولعلنا في مقدمة الذين يقدّرون رجال المسلمين في صدر الإسلام حق قدرهم ، بل نحن أول من أُعجب بأعمالهم ومناقبهم ويظهر ذلك جليًا فيما نكتبه(١٢٤) .

على أن حجة زيدان لم تقنع بعض المثقفين ، فشهد باب المراسلات أول مكاتبات الأديب رفيق العظم لصاحب الهلال في هذا الشأن ، وتلك المراسلات لم تنفض إلا مع رَتق هذا الباب . ومما جاء فيها : «كان الأجدر بحضرتكم ألا تُسمَّوا تلك السلسلة من الروايات بالتاريخ الإسلامي منذ أول قصة أخذتم بنشرها ، فقد كلفكم هذا ركوب متن التكلف واستغراق الوقت الطويل في استنباط الوضع القصصي وتصوير الرواية الوهمية . ربما تقولون إن الغربيين كثيراً ما اشتغلوا في تمثيل الحوادث التاريخية في قوالب قصصية استلذها الغربيون والشرقيون أيضًا ؛ فالجواب عن ذلك أن بعض القصاصين الغربيين ، وأشهرهم إسكندر دوماس ، سبكوا بعض الحوادث التاريخية في قالب قصصي لا لكون التاريخ هو المطلوب من قصصهم بالذات ، بل لجعلهم التاريخ وسيلة لترويج قصصهم بامتزاجها بشيء من الحقائق . وإن أرادوا في

بعض الأحيان التاريخ لذاته ، فإنما يريدونه في تمْثيل حادث مهم طرأ في غضون تاريخ أمة من الأمم وأثر في الوجود أثرًا ربما يكون في تمثيله شيء من الاعتبار ، أما أنهم اشتغلوا بوضع تاريخ أي أمة من الأمم برمته في قالب قصصي ، فهذا لم يُسمع عنهم ولم يَرِد منهم . لا سيما وإن الغربيين ينعتون إسكندر دوماس بمشوه وجه التاريخ ، لسبكه بعض الحوادث التاريخية بقالب قصصي فيه كثير من الحشو واللغو المشين برجال التاريخ[١٢٥] . وبالنسبة لزيدان ، فإن مطلب المُناظر بكتابة تاريخ مجرد عن الخيال والفكاهة ، لا يفي بالغرض الذي أنشىء الهلال من أجله وهو اتعميم العلم بين الناس على اختلاف مداركهم وتفاوت معارفهم» ، وتاريخ الإسلام – حسب زيدان – أهم ما يجب علينا نشره لعلاقته ببلادنا وحكامنا ولغتنا . فلو ألفنا تاريخًا لدول الإسلام لما رجونا أن ينتفع به إلا القليلون ؛ لأن العامة مع رغبتهم الشديدة في مطالعة التاريخ والقصص ، قلما ترى فيهم من يصبر على قراءة تاريخ ضخم من أوله إلى آخره ولا يمل . على أننا لا ننكر ما قد يلتبس القارئ فيه بين الحقيقة والمجاز ، وخصوصًا إذا لم يكن ملمًا بمبادئ التاريخ فتتشابه بعض الحوادث عليه . فالجواب على ذلك أننا لا نريد بالرواية التاريخية أن تكون حجة ثقة يُرجَع إليها في تحقيق الحوادث أو تمحيص الحقائق ، ولكننا نريد أن تمثل التاريخ تمثيلاً إجماليًا[١٢٦] .

ثم شرع زيدان في نشر كتابه الموسوعي «تاريخ التمدُّن الإسلامي» على شكل حلقات في الهلال استمر في نشرها لمدة ست سنوات (١٩٠٢ إلى ١٩٠٨)[١٢٧] . وفى خضم نشر تلك الحلقات وردته واحدة من أكثر الرسائل تفصيلاً في نقد ما نشر من حلقات هذا الكتاب ، وكان مُرسلها هو رفيق العظم . ذكر في رسالته أنه طالع ما نشر من أجزاء الكتاب ؛ فلم يجد إلا هنات لا تؤخذ عليه ، وإن كان ينبغي بيانها ، ومنها : الأخذ ببعض الأحاديث الضعيفة معتمداً على ورودها في كتب بعض المؤرخين ، من غير العارفين بأصول علم الحديث . كذا الإجمال في بعض المواضع التي تقتضي البسط ؛ وأهمها العلوم التي اشتغل بها العرب في إبان مدينتهم ، وكان

ينبغي بسط الحديث فيها وبيان اليد البيضاء للعرب في ترقي العلوم .كذلك الإكثار من جمع مثالب الأمويين ودولتهم العربية ، حيث يرى القارئ أن القسم المختص منه – أي الكتاب– ببني أمية عارٍ عن مآثر القوم[١٢٨] . ورد زيدان قائلاً : «إن اعتمادي على المؤرخين دون المحدثين والمفسرين ، أعدّه واجبًا عليَّ وعلى كل مؤرخ ينظر في التاريخ من الوجهة العمرانية لا من الوجهة الدينية ؛ لما تعلمهُ من اختلاف أهل الدين في أبحاثهم وتناقضهم في آرائهم تبعًا لما توحيه إليهم أغراضهم . أمَّا اختصاري في باب العلوم التي اشتغل بها العرب في إبان مدنيتهم ؛ فقد وفيت الحديث عنها في «تاريخ آداب اللغة العربية» ، وأخيرًا «مثالب الأمويين» ، فلا أراني مخطئًا في إيرادها بل أرى إيرادها واجبًا عليَّ ؛ بالاعتماد على ثقات المؤرخين . فهل يصح الإغضاء عنها لمجرد كوننا عربًا والدولة الأموية عربية؟[١٢٩] .

ويمكن اعتبار رسالة رفيق العظم وانتقاداته لكتاب «تاريخ التمدُّن الإسلامي» آخر المراسلات التي أخذت طابع المساجلة ، والتي أُغلق بعدها باب المراسلات – حيث لم يرد بعدها سوى رسالتين فقط تتعلقان بأمور معرفية بعيدة عن المناظرة ، بل ربما تكون هي – أي رسالة العظم– ضمن مجموعة من العوامل ، مما حمل زيدان على إغلاق باب المراسلات ، فلقد جاءت تلك الرسالة في خضم موجة نقد بدأت من جريدة المؤيد وبلغت ذروتها في المنار ، وهو الأمر الذي نال من عزيمة زيدان ، فقد كان مدركًا – منذ البداية – لحساسية موقفه كمسيحي يكتب عن التاريخ الإسلامي ، لذلك اتسمت كتابته بقدرٍ من النسبية والحذر ؛ خشية أن يُرمي بالتعصب[١٣٠] . ومن ثَمَّ ، فإن تلك الرسائل عمقت من هواجس زيدان ، حتى أنه راسل ابنه قائلاً : «لولا الثناء والتقدير الصادق الذي سمعته من بعض المثقفين ، لكنت تركتُ الكتابة في المواضيع الإسلامية واتجهتُ إلى مواضيع أكثر عمومية»[١٣١] . وما كادت مجلة الهلال تغلق باب المراسلات ، حتى وجد منتقدو زيدان في أندادها من المجلات أبوابًا ؛

فراسلوا المنار والمؤيد . ووضع عالم الدين الهندي شبلي النعماني ، مجموعة من المقالات التي ضمها في كتاب نشر في الهند عام ١٩١٢[١٣٢] ، استفتحه بالقول : «إن الدهر دار العجائب . ومن إحدى عجائبه أن رجلاً من رجال العصر يُؤّلف في تاريخ تمدن الإسلام كتابًا يرتكب فيه تحريف الكلم وتمويه الباطل ، وقلب الحكاية ، والخيانة في النقل ، وتعمد الكذب ما يفوق الحد ، ويتجاوز النهاية ، وينشر هذا الكتاب في مصر وهي غرة البلاد ، وقبة الإسلام ، ومغرس العلوم ، ثم يزداد انتشاراً في العرب والعجم ، ومع هذا كله لا يتفطن أحد لدسائسه . ولم يكن المرء ليجترئ على مثل هذه الفظيعة في مبتدأ الأمر ، ولكن تدرج إلى ذلك شيئًا فشيئًا ، فإنه أصدر الجزء الثاني من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على إحساس الأمة وعواطفها ، ولما لم يتنبه لذلك أحد ، ولم ينبض لأحد عرق ، ووجد الجو صافيًا ، أرخى العنان ، وتمادى في الغي ، وأسرف في النكاية ، في العرب عمومًا وخلفاء بني أمية خصوصًا»[١٣٣] .

خلاصة القول

كان المؤرخ روبرت ماكيلفين Robert McElvaine مُحقًا عندما قال : «إنَّ كتابة تاريخ شعب ما في فترة زمنية معينة لابد أن تبدأ بشهادة الشعب نفسه ، فينبغي للمؤرخين أن يسمحوا للناس العاديين بالتحدث عن أنفسهم»[١٣٤] . من هنا تكمن أهمية رسائل القُرّاء للصحف والمجلات باعتبارها أداة للبحث عن شهادة للناس عن الفترة التي عاشوها . ومن خلال التحليل الإحصائي لرسائل قُرّاء الهلال – وهي النموذج الذي قامت هذه الورقة بدراسته – في الفترة الممتدة من ١٨٩٢ إلى ١٩٠٦ ، تبرز بوضوح مقدار التنوع في شكل الرسائل ، حيث تباينت فى نوع المرسلين وموطنهم بالإضافة إلى اختلاف توجهاتهم الفكرية . كما إن تدخل هيئة تحرير المجلة في رسائل قُرّاء كان يسيراً ؛ بشكل يجعلنا ننظر لتلك الرسائل كمعبر حقيقي عن

المناخ الثقافي الذي ساد في تلك الفترة . لكن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن زيدان استخدم هذا الباب ، لطرح قضايا كان يتعذر عليه بحكم موقعه - كمسيحي شامي- أن يطرحها في مقالات الرأي ، مثل : حقوق المرأة والإسلام والحداثة ومسألة كيف قام التمدن الإسلامي؟ . فلقد تبنى صاحب الهلال في مقالات الرأي التي كان يكتبها أسلوبًا حذرًا ، تجنب الهجوم المباشر على المفاهيم والمؤسسات التقليدية ، وحلول إيجاد علاقات مفتوحة ومتناغمة مع الجميع بلغته التي يغلب عليها البعد عن الجزم والإطلاق . لذا نظر إلى باب المراسلات كأداة أكثر حرية لطرح القضايا الجديدة ، لكنه لجأ في بعض الأحيان إلى لجمه مخافة الشطط .

إن القضايا التي شغلت حيزًا كبيرًا في مناقشات باب المراسلات ، هي بالأساس شواغل جرجي زيدان ، لكنها أيضًا شواغل مجتمعية . وقد كان حريصًا باستمرار على ضخ تساؤلات جدلية لاستجلاب المزيد من التفاعل ، وتلك ظاهرة رصدها توماس هوبز في دراسته لصحافة إنجلترا في القرن التاسع عشر ؛ مما يعنى أنها مألوفة من قِبل المحررين . لكن تحليل الرسائل يظهر خلوها من ظاهرة تحرير بعضها من قِبل هيئة التحرير ، وتلك أحد أعظم المخاوف التي أثرتها دراسة هوبز عند الشروع في استخدام باب المراسلات كمصدرٍ للمعرفة التاريخية(١٣٥) .

وأخيرًا يلاحظ إحجام باب المراسلات عن إثارة أمور سياسية أو أحداث معاصرة ، فكما يذكر فليب توماس ، فإن زيدان صاحب الاهتمام الملحوظ بالعصر الحديث وقضاياه ، لم يكن يعتبر مهمة الهلال هي معالجة الأحداث السياسية الجارية أو إبداء آراء سياسية واضحة حول هذه الأحداث . كان اهتمامه منصبًا على إعطاء خلفية تاريخية عامة لمثل هذه الأحداث والأشخاص الذين يقفون ورائها . فزيدان كان من أنصار تيار القومية المصرية الذى يرى أن الحاكم الأجنبي سيتخلى طواعية عن سيطرته على الأمة بمجرد أن تنضج شخصيتها وتعليمها .

الهوامش

(١) عواطف عبد الرحمن ، هموم الصحافة والصحفيين في مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٠ .

(٢) محمود عزمى ، مبادئ الصحافة العامة ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ص ص ٢٥ ، ٢٦ .

(3) Alex Caemmerer Jr., Letters to the Editor That Were Never Published: (And Some Other Stuff) , New York, 2011, p. 10.

(4) Laurel Brake and Julie F. Codell (ed) , Encounters in the Victorian Press Editors, Authors, Readers, London, 2005, p. 1.

(5) Susanne Wiegand & J. Werner ,Letters to the Editor European Archives of Oto-Rhino-Laryngology vol 272, 2015, p. 2087.

(6) J. Hart, The Developing Views on the News Editorial Syndrome 1500- 1800, Carbondale, 1970, p. 91.

(7) Aled Jones, Powers of the Press: Newspapers, Power and the Public in Nineteenth Century England, London,١٩٩٦ , pp. 187,. ١٨٨

(8) K. Wahl-Jorgensen, Journalists and the Public: Newsroom Culture, Letters to the Editor, and Democracy. New York,٢٠٠٧ , p. 198.

(9) Andrew Hobbs, Readers' Letters to Victorian Local Newspapers as Journalistic Genre, search in " Letters to the Editor Comparative and Historical Perspectives " book, Allison Cavanagh and John Steel (ed), University of Sheffield, p. 129.

(10) Patricia Hollis, Ladies Elect: Women in English Local Government 1865-1914 . Oxford, 1987, p. 392.

(11) Andrew Hobbs, Readers, Letters to Victorian Local Newspapers as Journalistic Genre, pp. 138,. ١٤٠

(12) David Nord, Communities of Journalism, Chicago, 2001, pp. 200, 202.

(١٣) محمود عزمى ، مبادئ الصحافة العامة ، ص ص ١٠ ، ١١ . وكذلك إبراهيم عبده ، تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١ ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٥٧ .

(١٤) للمزيد راجع : إبراهيم عبده ، تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨-١٩٤٢ ، مطبعة المتوكل ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٣٦ وما بعدها .

(١٥) الفيكونت فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج ١ ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٩١٣ ، ص٦٩ .

(١٦) إبراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية ، مكتبة الآداب ،

القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ٦٥ .

(١٧) أحمد حمروش ، قصة الصحافة في مصر ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٣٢ .

(١٨) عبد اللطيف حمزة ، الصحافة المصرية في مائة عام ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٤ وما بعدها .

(19) Irene L. Gendzier ,James Sanua and Egyptian Nationalism , Middle East Journal Vol. 15, No. 1 , Winter,١٩٦١ , pp. 16-28 .

وكذلك دراسة إبراهيم عبده ، أبو نظارة أمام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح في مصر ١٨٣٩-١٩١٣ ، مطبعة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

(٢٠) دار الوثائق القومية : وثائق مجلس الوزراء والنظار ، كود ٠٠٠٠٧٧-٠٠٧٥ ، قانون المطبوعات ، من ٢٧ ديسمبر ١٨٨١ إلى ٨ يناير ١٨٨٢ .

(٢١) أحمد حمروش ، قصة الصحافة في مصر ، ص ٧٧ .

(٢٢) تيسير أبو عرجة ، المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩- ١٩٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ص ١٩ ، ٢٢ .

(٢٣) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ص ١٦٨ ، ١٧٠ .

(٢٤) شوقي أبو خليل ، جرجي زيدان في الميزان ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨١ ،ص١٦ .

(٢٥) قسطاكي إلياس الحلبي ، تاريخ تكوين الصحف المصرية ، الإسكندرية ، مطبعة التقدم ، ١٩٢٨ ، ص ١٢٧ .

(26) Philipp Thomas , The Role of Jurji Zaidan in the Intellectual development Of The Arab Nahda From The Beginning Of The British Occupation Of Egypt To The Outbreak of world war 1,PhD, University of California, 1971, P.6.

(٢٧) دار الوثائق القومية :وثائق مجلس الوزراء والنظار ، ٠٠٠١٣٦-٠٠٧٥ ، القاهرة ، أكتوبر١٨٨٢ ، ص١ . صدرت مجلة "المقتطف في بيروت عام ١٨٧٦ .

(28) Philipp Thomas, The Role of Jurji Zaidan in the Intellectual development Of the Arab , p.49.

(٢٩) مجلة الهلال ، مذكرات جرجي زيدان ، ع١ ، س ٢٣ ، أول أكتوبر ١٩١٤ ، ص١٠ .

(٣٠) محمود الصاوي ، كتابات جورجي زيدان دراسة تحليلية في ضوء الإسلام ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص٩١ .

(٣١) محمد عبد الغني حسن ،جرجي زيدان ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص٤٦ .

(٣٢) دار الوثائق القومية : وثائق مجلس الوزراء والنظار ، ٠٠٠٠١٥-٠٠٧٥ ، ٢٦ أبريل ١٨٨٥ ، ص١ .

(٣٣) شوقي أبو خليل ، جرجي زيدان في الميزان ، دار الفكر ، دمشق ،١٩٨١ ، ص١٦ .

(34) Ami Ayalon , The Press in the Arab Middle EastA History, University Press ,New York, ٢٠١١ , pp, 53, 54.

(٣٥) مجلة الهلال ، الافتتاح ،ع١ ، س ١ ، أول سبتمبر ١٨٩٢ ، ص١ .

(٣٦) مجلة الهلال ، مسائل تحتمل وجهين وفيها مجال للبحث ،ع١ ، س ١ ، أول سبتمبر ١٨٩٢ ، ص ص٢٦ ، ٢٧ .

(٣٧) مجلة الهلال ، رواية أرمانوسة المصرية ،ع٢ ، س ١ ، أول أكتوبر ١٨٩٢ ،ص ٥٥ .

(٣٨) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" هل الآداب بالطبع أم بالوضع" ،ع ٣ ، س ١ ، نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ص ٨٦ ، ٨٨ . اسبيردون أبو الروس (١٨٧٦ –١٩٦٥) ، هو طبيب لبناني شغل منصب وزير المعارف والصحة ، ورئيس لجان الإسعاف والطوارئ . ولد في جميزة بيروت درس الطب في مكتب الطب الفرنساوي ، تولى حقيبة المعارف والصحة ، في الوزارة الثالثة بعهد الرئيس شارل دباس سنة ١٩٢٨م ، ثم ترأس الإسعاف والطوارئ في نفس العام ، وعضو في جمعية الأطباء سنة ١٩٤٨م ، عضو ومنسق جمعية التربية والمعلم ١٩٤٠م ، في حين أنه توفي في بيروت سنة ١٩٦٥ . للمزيد : حسان حلاق ، موسوعة العائلات البيروتية : الجذور التاريخية للعائلات البيروتية ذات الأصول العربية واللبنانية والعثمانية مع صور ووثائق ومعلومات نادرة ، ج١ ، دار النهضة العربية ،٢٠١٠ ، ص ٦٨ .

(٣٩) مجلة المقتطف ، المناظرة والمراسلة ، س ١ ،ع ١ ، أول يونيو ١٨٨٢ ، ص ٤٣ .

(٤٠) مجلة المقتطف ، المناظرة والمراسلة ، س ١٠ ،ع ٦ ، اول إبريل ١٨٩٢ ، ص ص ٤٠٥ ، ٤٠٧ .

(41) Philipp Thomas , The Role of Jurji Zaidan in the Intellectual development Of The Arab Nahda, pp. 363, 364.

(٤٢) مجلة الهلال ، باب السؤال والاقتراح ،ع ١٠ ، س ٢ ، يناير ١٨٩٤ ، ص ٣١٠

(٤٣) مجلة الهلال ، باب السؤال والاقتراح ،ع ٧ ، س ٢٩ ، يوليو ١٩٢١ ، ص ٩٨٨

(٤٤) مجلة الهلال ، اقتراحان ،ع ٥ ، س ٢ ، نوفمبر١٨٩٣ ، ص ١٤٤ .

(٤٥) مجلة الهلال ، اقتراحان ،ع ١٦ س ٢ ،١٥ إبريل ١٨٩٤ ، ص ٥٠٠ .

(46) Martin Hartmann, The Arabic press of Egypt by 1851-1919, London, 1899, P. 3, 6.

سنقدم لاحقًا تعريفًا لهن .

(٤٧) إحصاء أجراه الباحث لكل أعداد المجلة في الفترة من (١٨٩٢ / ١٩٠٦)

(48) Sarah Pedersen, What's in a Name? The revealing use of noms de plume in women's correspondence to daily newspapers in Edwardian Scotland, Media History, Vol 10, Issue 3, 2004, pp. 175, 177.

سنقدم تعريفًا لأبرز المرسلين عند عرض موضوعات باب المراسلات

(٤٩) أحصاء أجراه الباحث لكل أعداد المجلة في الفترة من (١٨٩٢ / ١٩٠٦)

(50) Philipp Thomas, The Role Of Jurji Zaidan In The Intellectual development Of The Arab, p. 30.

(٥١) مجلة الهلال ، باب التقريظ والانتقاد ، ع ٤ ، س ١ ، ديسمبر ١٨٩٢ ، ص ١٤٠ .

(٥٢) مجلة الهلال ، باب المراسلات (رواية الأمير مراد) ، ع ٣ ، س ١ ، نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ص ٨٦ ، ٨٨ . وللمزيد عن نقد زيدان لرواية " الأمير مراد" راجع : عبد الجواد محمد محص ، روايات جورجي زيدان (دراسة تاريخية) ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ١٢٣ .

(٥٣) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، ع ٨ ، س ٢ ، ١٥ ديسمبر ١٨٩٣ ، ص ٢٧١ .

(٥٤) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، ع ٦ ، س ٣ ، ١٥ نوفمبر ١٨٩٤ ، ص ٢٢٤ .

(٥٥) مجلة الهلال ، تنبيه وأعتذر ، ع ٧ ، س ١ ، مارس ١٨٩٣ ، ص ٢٦٢ .

(٥٦) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، ع ١١ ، س ٢ ، فبراير ١٨٩٣ ، ص ٣٣٦ .

(٥٧) مجلة الهلال ، مراسلات الهلال ومراسلوه ، س ٣ ، ع ٢٢ ، ١٥ يوليو ١٨٩٥ ، ص ٨٥٦ .

(٥٨) مجلة الهلال ، اعتذار للمراسلين ، س ٥ ، ع ١٤ ، ١٥ مارس ١٨٩٦ ، ص ٥٤١ .

(٥٩) مجلة الهلال ، اسم الجلالة قبل الإسلام ، ع ١٢ ، س ٢ ، ١٥ فبراير ١٨٩٣ ، ص ٣٦٩ .
سنأتي على ذكر هذه القضية في تحليل مضمون الرسائل

(٦٠) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، ع ١٩ ، س ٢ ، أول يونيو ١٨٩٤ ، ص ٥٩٣ .

(٦١) مجلة الهلال ، التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ (تابع) ، س ٣ ، ع ١٣ ، أول مارس ١٨٩٥ ، ص ٤٩٩ .

(٦٢) مجلة الهلال ، تعقيب على التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ ، س ٣ ، ع ١٦ ، ١٥ إبريل ١٨٩٥ ، ص ٦١٦ .

(٦٣) مجلة الهلال ، اعتذار ، س ٣ ، ع ٢٠ ، ١٥ يونيو ١٨٩٥ ، ص ص ٧٧٤ ، ٧٧٥ .

(٦٤) مجلة الهلال ، هل ترتفع منزلة المرأة بالعلم أكثر أم بالمال؟ ، س ٥ ، ع ٢٢ ، ١٥ يوليو ١٨٩٦ ، ص ٨٥٦ .

(٦٥) مجلة الهلال ، توقيع المراسلات ، س ٩ ، ع ٨ ، ١٥ يناير ١٩٠١ ، ص٢٤٩ .

(٦٦) مجلة الهلال ، توقيع المراسلات ، س ٩ ، ع ٨ ، ١٥ يناير ١٩٠١ ، ص٢٤٩ .

(٦٧) مجلة الهلال ، اعتذار للمراسلين ، س ٤ ، ع ٢٢ ، أول سبتمبر ١٨٩٥ ، ص ٢٠ .

(68) Bill Reader, Audience Feedback in the News Media, New York, 2015, p. 128.

(٦٩) أحمد حمروش ، قصة الصحافة في مصر ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٥٦ .

(٧٠) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" هل الآداب بالطبع أم بالوضع" ، ع ٣ ، س ١ ، نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٨٦ .

(٧١) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" هل الآداب بالطبع أم بالوضع؟" ، ع ٥ ، س ١ ، نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ١٧٩ .

(٧٢) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، رسالة أمين لولي من السنبلاوين " التمدن الحقيقي" ، ع ٧ ، س ٣ ، أول ديسمبر ١٨٩٤ ، ص ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .كانت قضية التمدن قد عُرضت أول مرة في باب "المراسلة

والمناظرة" في مجلة المقتطف عام ١٨٨٥ ؛ وذلك من خلال مقال ليعقوب صنوع جاء عنوانه " أضرار التمدن السريع" ، وفى ظاهر المقال نقد للتمدن الغربي الذى قضى على شعوب العالم الجديد التي استعمر الرجل الأوروبي أرضهم ، لكن في حقيقة المقال اخْتلاق معاذير لهذا الأوروبي الذى لا يشينه ما حل بتلك الشعوب ، التي لم تعتدَّ هذا التمدن السريع ، فثمار التمدن الأوروبي بادية ، وقد انتفعوا بها أصحابه وسادوا بها على أكثر المعمورة ، وينهى صنوع مقاله بتوصية للشرقيين ألا خوفٌ عليهم من التمدن الأوروبي ؛ لأنهم أقدم في المدنية من كل الشعوب . راجع : يعقوب صنوع ، أضرار التمدن السريع ، مجلة المقتطف ، س ٣ ، ع ٥ ، ١ فبراير ١٨٨٥ ، ص ص ٢٨٤ ، ٢٨٨ .

وقد تلقت المجلة تعقيبًا على هذا المقال من شمس شحادة ، من مدينة زحلة اللبنانية رجح جانب الضرر للتمدن الغربي على النفع ، وطلبت المجلة من الكُتاب أن يتباروا في هذا المضمار . انظر : مجلة المقتطف ، مضار التمدن الأوروبي ومنافعه ، ع ٩ ، أول يونيو ١٨٨٥ ، ص ٥٦٦ . وكذلك مقال شكري آسبيرو ، التمدن والانتحار ، مجلة المقتطف ، ع ١٠ ، ١ يوليو ١٨٩١ ، ص ٦٤٨ وما بعدها .

(٧٣) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، " التمدن الإسلامي" ، ع ٨ ، س ٣ ، ١٥ ديسمبر ١٨٩٤ ، ص ٣٠٩ .

ولد «رفيق العظم» عام ١٨٦٧م بمدينة «دمشق» لأب أديب ؛ هو الشاعر «محمود العظم» ، فأُغرم منذ الصِغر بعلوم العربية ، اتصل بالسياسيين الأتراك الداعين لإصلاح أحوال الخلافة العثمانية ، فاقترب من العديد من الجمعيات السرية السياسية وكتب المقالات والكتب الداعية للإصلاح السياسي والمهاجمة للاستبداد والظلم ؛ فضيقت عليه السُلطات حتى اضطر أن يسافر إلى مصر . عمل العظم على إذكاء جُذوة التحرر القومي والعربي من خلال دعواته الإصلاحية التي جهر بها في مقالاته وكتبه ، كما سعى مع صديقه الشيخ «رشيد رضا» في تكوين جمعية عربية سرية هدفها التأليف بين أمراء الجزيرة العربية ؛ من أجل جمع شمل العرب وحفظ حقوقهم في الدولة العثمانية ، والعمل لمستقبل يعيد إليهم أمجادهم وتاريخهم . وظل العظم يكافح في هذا المجال إلى أن ساءت صحته بشكل كبير فاعتزل العمل ولازم داره . توفي العظم عام ١٩٢٥م بالقاهرة بعد حياة مليئة بالعطاء في مجالات الأدب والفكر والسياسة .

للمزيد : سّام عبد السلام البطوش ، رفيق العظم مفكرًا ومصلحًا دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية العربية ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٧ ، ص ١٥ وما بعدها .

(٧٤) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ ، ع ٩ ، س ٣ ، أول يناير١٨٩٥ ، ص ص ٣٣٩ ، ٣٤١ .

يقترب (ر .ن) في طرحه مما كتبه جرجي زيدان في هذه المسألة مما يجعل الباحث يعتقد في أنه مُرسل تلك الرسائل بهذا الاسم المستعار ، ولعل ما يؤكد هذا الزعم أن زيدان لم يردّ على مناشدة أحد القُراء ببيان موقف المجلة في تلك المسألة ، ولعل حساسية الطرح ربما هي التي دفعت زيدان لاتخاذ هذا الاسم المستعار .

(٧٥) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، " التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ " ، ع ١٠ ، س ٣ ، ١٥ يناير١٨٩٥ ، ص ص ٣٨٠ ، ٣٨٢ .

(٧٦) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ " ، ع ١١ ، س ٣ ، ١ فبراير ١٨٩٥ ، ص ص ٤١٣ ، ٤١٥ .

(٧٧) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ " ، ع ١١ ، س ٣ ، ١ فبراير١٨٩٥ ، ص ص ٤١٦ ، ٤٢٠ .

(٧٨) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ " ، ع ١٣ ، س ٣ ، ١ مارس ١٨٩٥ ، ص ص ٤٩٦ ، ٤٩٩ .

(٧٩) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ " ، ع ١٤ ، س ٣ ، ١٥ مارس ١٨٩٥ ، ص ص ٥٤٤ ، ٥٤٧ .

(٨٠) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ " ، ع ١٤ ، س ٣ ، ١٥ مارس ١٨٩٥ ، ص ص ٥٤٨ ، ٥٥٠ .

(٨١) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ " ، ع ١٦ ، س ٣ ، ١٥ إبريل ١٨٩٥ ، ص ص ٦١٤ ، ٦١٦ .

(٨٢) مجلة الهلال ، باب المراسلات ،" التمدن الإسلامي وبماذا قام؟ " ، ع ١٧ ، س ٣ ، ١ مايو ١٨٩٥ ، ص ص ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

من أبناء السويس عمل كاتبًا في جوازات السويس ، وله ديوان شعر معروف «نزهة الألباب في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب» .

(٨٣) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، عار التمدن الغربي ، ع ١٥ ، س ٣ ، ١ أبريل ١٨٩٥ ، ص ص ٥٧٥ ، ٥٧٦ .

(٨٤) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، عار التمدن الغربى وعدواة فى الشرق ، ع ١٧ ، س ٣ ، ١ مايو ١٨٩٥ ، ص ٦٥٩ .

(٨٥) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، عار التمدن الغربى وعدواة فى الشرق ، ع ١٨ ، س ٣ ، ١٥ مايو ١٨٩٥ ، ص ٦٩٩ .

(٨٦) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، آفات التمدن الحديث ، ع ١٨ ، س ٣ ، ١٥ مايو ١٨٩٥ ، ص ٦٩٩ .

(٨٧) مجلة الجامعة العثمانية ، الإنسان وما صنع التمدن به ، س١ ، ع ٢ ، أول أبريل ، ١٨٩٩ ، ص ص ٢٠ ، ٢٢ .

(٨٨) رفيق العظم ، رسالة في بيان كيفية انتشار الأديان ، مطبعة الإسلام ، القاهرة ، ١٨٩٦ ، ص ١ .

(٨٩) مجلة الهلال ، التمدن الإسلامي وعلاقته بالتمدن الحديث ، س ١١ ، ع ٤ ، ١٥ نوفمبر ١٩٠٢ ، ص١١٣ .

(٩٠) مجلة الهلال ، باب السؤال ، الإسلام و التمدن ، ع ٧ ، س ١٦ ، ١ أبريل ١٩٠٨ ، ص ص ٤٢٨ ، ٤٣٢ .

زكي مُغَامز بك (١٨٧١ –فبراير ١٩٣٢) صحفي سوري مسيحي . ولد في حلب ونشأ ودرس بها ، هاجر منها إلى إسطنبول سنة ١٨٩١ تاجرًا ثم ساهم في الصحافة التركية ، فأصدر صحيفة المشكاة .

عيَّن عضواً في مجلس إدارة إسطنبول ، وشارك في تأسيس جمعية الإخاء العربي – العثماني سنة ١٩٠٨ . نبغ في اللغة التركية ، فترجم إليها القرآن سنة ١٩١١ ، وبعض مؤلفات جرجي زيدان مثل «تاريخ التمدن الإسلامي» . كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومن مؤلفاته "المخطوطات في مكتبات الآستانة" . نال النيشان المجيدي من الدرجة الثالثة وتوفي في اسطنبول . انظر : كامل سلمان الجبوري ، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ، ج ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص . ٤٢٣ . وكذلك زكي محمد مجاهد ، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجري ، ج ٣ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص . ١٠١٧ .

(٩١) جُرجي زيدان ، الرحلات الثلاث : الآستانة –أوروبا – فلسطين ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ٢٠١٧ ، ص ٨٤ .

(٩٢) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال ، ع ١٠ ، س ٢ ، ١٥ يناير ١٨٩٤ ، ص ص ٣٠٤ ، ٣٠٦ .

أمين الخوري (١٨٥٠/ ١٩١٩) : طبيب أديب ، ولد في بكاسين (بلبنان) وتعلم في مدارس سورية . انتقل إلى قصر العيني بمصر فتعلم الطب ، ونصب طبيباً أول في مستشفيات السودان فأقام مدة ، وعاد إلى مصر ، فسكن المنصورة واحترف التطبيب ، ثم عاد الى الشام فتوفي بها . له كتب منها (فلسفة الاشياء) ، و(ريحان النفوس في انتخاب العروس) ، و(الوقاية) و (العلة الاولى) . خير الدين الزركلي ، كتاب الأعلام ، ج ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ص ٢١ ، ٢٢ .هيكل نعمة الله وإلياس مليحة ، موسوعة علماء الطب حياتهم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩١ ، ص ٩٧ .

(٩٣) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟ ، ع ١٢ ، س ٢ ، ١٥ فبراير ١٨٩٤ ، ص ص ٣٦٦ ، ٣٦٩ .

(٩٤) زينب فواز ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، دار هنداوى ، القاهرة ، ٢٠١٥ ، ص ص ١٨ ، ١٩ .

إستير أزهري (١٨٧٤/ ١٩٤٨)هي كاتبة يهودية ولدت في بيروت وتعلمت في مدارسها ، انضمت عام ١٨٩١ إلى جمعية "باكورة سوريا" ، أولى الجمعيات النسائية السورية ، وأصبحت بعد عامين سكرتيرة للجمعية ، قبل أن تصلها دعوة للمؤتمر النسائي العالمي في شيكاغو عام ١٨٩٣ ، ظهر اسمها ضمن مؤسِّسات جمعية أخرى في بيروت باسم جمعية "نهضة المرأة" . ولما تزوجت الدكتور شمعون مويال سكَنت في القاهرة حيث أنشأت عام ١٨٩٩ مجلة «العائلة» ، ثم نزحت إلى يافا مع زوجها فأسسا جريدة «صوت العثمانية» التي احتجبت في أوائل الحرب العظمى ، توفيت في يافا . بث بارون ، النهضة النسائية في مصر : الثقافة والمجتمع والصحافة ، ترجمة لميس النقاش ، المجلس الأعلى الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٢٦ .

(٩٥) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟ ، ع ١٤ ، س ٢ ، ١٥ مارس ١٨٩٤ ، ص ص ٤٣٨ ، ٤٤٠ .

(٩٦) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟ ، ع ١٤ ، س ٢ ، ١٥ مارس ١٨٩٤ ، ص ص ٤٣٦ ، ٤٣٨ .

(٩٧) موقف شبلي شميل نُشِر في المقتطف عام ١٨٨٧ ، ومما جاء فيه : "إن تغلب الرجل على المرأة من ضروريات الارتقاء والضدُ بالضد . ويتساءل كيف يمكن أن يكون هنالك مساواة بين الرجل والمرأة – وهما مختلفان بالطبع من أصل الفطرة في التركيب والقابليات والواجبات ، فطلب المرأة مساواة الرجل أمر مستحيل" . ويقول في موضع آخر : "يجب أن نضع المرأة فى مقامها الحقيقي الذي يليق بها والذي جعلت فيه– اعني– عضوا لازما للبيئة الاجتماعية تابعة للرجل في ارتقاءهمساعدة له متممة ما نقص من كماله ، مخففة عنه مشاق الحياة الداخلية ، كما هو يذلل لها مصاعب الحياة الخارجية ، حاضنة أولادها تحت جناحي حنوها وتدبيرها عن طبع وتهذيب ، كما هو يسهر على راحتهم بعين سعية وأقدامه عن سابقة ومعرفة ، لاتنازعه هي ما لا تجديها المنازعة فيه نفعا ، ولايبخسها هو حقًا أعترف لها به مقامها في الهيئة الاجتماعية ، متقاسمين الأعمال كل منهما في دائرته غير متطاول إلى دائرة سواه ، وبذلك يتم نظام العائلة البشرية التي هي– أم– الاجتماع الإنساني" . انظر : شبلي شميل ، المرأة والرجل وهل يتساويان؟ ، مجلة المقتطف ، أول مارس ١٨٨٧ ، ع ٦ ، س ١١ ، ص ص ٣٥٥ ، ٣٦٠ . وكذلك ، المرأة والرجل وهل يتساويان؟ ، مجلة المقتطف ، أول أبريل ١٨٨٧ ، ٧ ، س ١١ ، ص ص ٤٠١ ، ٤٠٥ .

(٩٨) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟ ، ع ١٥ ، س ٢ ، ١ أبريل ١٨٩٤ ، ص ص ٤٦٣ ، ٤٦٩ .

جبر ضومط (١٨٥٨–١٩٣٠) كان لغويًا ، وأديبًا ، ومترجمًا وصحفيًا . ولد في قرية برج صافيتا شمال طرابلس الشام . انتمى إلى الكلية الأمريكية في بيروت سنة ١٨٧٢ وتخرج فيها سنة ١٨٧٦ . غادر لبنان إلى مصر ١٨٨٤ واستقر في الإسكندرية وبقي فيها خمس سنوات ثم عاد إلى لبنان ، بعدها عُين مترجمًا في حملة غوردن إلى السودان . اشتغل في تحرير جريدة المحروسة وكتب العديد من الصحف ، أهمها الهلال والمقتطف ، ومجلة المجمع العلمي العربي في دمشق . عمل في التدريس في الكلية الأمريكية في بيروت ١٩٢٤ ، ونال عضوية مجمع اللغة العربية بدمشق . ترك العديد من الكتب المؤلفة منها : الخواطر العراب في النحو والإعراب ، وفلسفة اللغة العربية وتطورها ، وكتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيان . راجع : كامل سلمان الجبوري ، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ، ج٢ ، ص ١٣ .

(٩٩) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟ ، ع ١٧ ، س ٢ ، ١ مايو ١٨٩٤ ، ص ص ٥٢٦ ، ٥٣٢ .

(١٠٠) زينب فواز ، الرسائل الزينبية ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ٢٠١٨ ، ص ص ١٩٧ ، ٢٠٩ .

(١٠١) مردم الأنطاكي ، الحقُ أحق أن يتبع ، مجلة الفتاة ، ج ١٢ ، ١٦ مارس ١٨٩٤ ، ص ص ٥١٥ ، ٥٢١ .

(١٠٢) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال ، ع ١٦ ، س ٢ ، ١٥ أبريل ١٨٩٤ ، ص ص ٤٨٨ ، ٤٩٠ .

(١٠٣) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟ ، ع ١٦ ، س ٢ ، ١٥ أبريل ١٨٩٤ ، ص ص ٤٩١ ، ٤٩٣ .

(١٠٤) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل للنساء أن يطلبن كل حقوق الرجال؟ ، ع ٢٠ ، س ٢ ، ١٥ يونيو ١٨٩٤ ، ص ص ٦٢٢ ، ٦٢٩ .

وهو صحفي لبناني أسس مع صاحبه نجيب غرغور صحيفة المنار من مصر عام ١٨٨٨ إلا أنها توقفت بعد أن صدر منها بضعة أعداد قليلة ، وله بعض المقالات في صحيفة المقتطف . راجع : عواطف عبدالرحمن ونجوى كامل ، تاريخ الصحافة المصرية دراسة تاريخية ومعاصرة ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٢٠ ص ١١٥

(١٠٥) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل تعلو منزلة المرأة بالعلم أكثر أم بالمال؟ ، ع ١١ ، س ٤ ، ١ فبراير ١٨٩٦ ، ص ص ٤١٢ .

اشتركا سويًا في تأسيس جمعية الاعتدال في القاهرة عام ١٨٨٦ ، وعمل إبراهيم جمال في الصحافة وأصدر بالاشتراك مع ابن عمته غنطوس مصوبع مجلة الإعلان الأسبوعية عام ١٨٩١ لخدمة التجار والصناع ، وكان له مؤلف مهم "القضاء المصري الأهلي " يقع في جزأين ، وهو بمثابة معجم للقواعد القانونية المأخوذة من قضاء المحاكم الأهلية . جُرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩١٣ ، ص ٩٦ ، ص ٣٠٣ .

(١٠٦) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل تعلو منزلة المرأة بالعلم أكثر أم بالمال؟ ، ع ١٣ ، س ٤ ، ١ مارس ١٨٩٦ ، ص ص ص ٤٨٩ ، ٤٩٣ .

(١٠٧) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل تعلو منزلة المرأة بالعلم أكثر أم بالمال؟ ، ع ١٥ ، س ٤ ، ١ أبريل ١٨٩٦ ، ص ص ص ٥٦٩ ، ٥٧٤

أديبةٌ وصحفيةٌ لبنانيةٌ ، وُلدتْ في قرية اكفر شيماب اللبنانية في عام ١٨٨٠م ، وتلقَّتْ تعليمَها في «مدرسة العازريات» ببيروت حتى تخرَّجتْ فيها ، تَميَّزتْ مُنذُ صغَرِها بحُبِها الشديد للمُطالَعة والتعلُّم . انتقلَتْ لبيبة بعدَ ذلكَ مَعَ عائلتها إلى مصر ، وهناك تتلَمذَاتْ على يد الشيخِ والأديبَ الكبير «إبراهيم اليازجي» ، كماَ تَعلَّمَت اللُّغتَيْن : الفرَنسيةَ والإنجليزيةَ وأجادَتْهما ، وقَدْ تلقَّبَتْ «لبيبةَ هاشم» بعدَ زواجها منَ الأديب «عبده هَاشم» . تَفتَّحَت الموهبةُ الأدبيَّةُ للَبيبة منذُ الصِغَر ، فأصدرَتْ وهيَ شابَّةٌ مجلةَ «فتاة الشرق» في عامِ ١٩٠٦م ، كما قدَّمَتْ عدةَ كُتبَ أدبية مُتنوعة ، بالإضافة إلى ترجمتها عدةَ روايات منَ الفرنسيةِ إلى العربية ، مثل «الغادةُ الإنجليزيةً» ، وَقَدْ دُعيَتْ لإلقاء بعَض المحاضرات في الجامعةَ المَصرية . تُوفِّيَتْ لبيبة بالقاهرة في عامِ ١٩٥٢م . للمزيد راجع : جميلَة أمين حسين ، المَرأة في الروايَة اللبنانية المعاصرة ١٨٩٩ – ٢٠٠٩ دراسة في نماذج روائية نسائية مختارة ، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠١٦ ، ص ٧١ وما بعدها .

(١٠٨) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل تعلو منزلة المرأة بالعلم أكثر أم بالمال : ، ع ١٥ ، س ٤ ، ١ أبريل ١٨٩٦ ، ص ص ص ٥٧٤ ، ٥٧٧ .

من أصحاب الريادة في الرواية ، حيث نشرت عام ١٨٩١ ، ورواية «فابيولا» ، كما ترجمت العديد من الروايات من الفرنسية إلى العربية كرواية (الرحلة الكاليفورنية) للكاتب الفرنسي ألكسندر دوماس عام ١٨٩٢ وتميزت بعباراتها الرشيقة السلسة . جمعية تضامن المرأة العربية ، الندوة الدولية للصحافة النسائية والنشر في البلاد العربية ، القاهرة ٤-٧ سبتمبر ١٩٩٠ ، ص ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(١٠٩) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، هل تعلو منزلة المرأة بالعلم أكثر أم بالمال ، ع ١٥ ، س ٤ ، ١ إبريل ١٨٩٦ ، ص ص ٥٧٧ ، ٥٨٠ .

(110) Philipp Thomas, The Role Of Jurji Zaidan In The Intellectual development Of The Arab, p. . ٩٢

(١١١) مجلة الهلال ، المرأة الشرقية أمس واليوم ، س ١٢ ، ع ١٢ ، ١٥ مارس ١٩٠١ ، ص ٣٥٤ .

(١١٢) قاسم أمين ، أسباب ونتائج أخلاق ومواعظ ، مطبعة خرجي غرزوزى ، الإسكندرية ، ١٩١٣ ، ص ١٦ .

(١١٣) مجلة الهلال ، فتاة غسان وقُرّاء الهلال ، س ٦ ، ع ١٠ ، ١٥ يناير ١٨٩٧ ، ص ٣٧٩ .

قصة الغرانيق هي رواية وردت في بعض كُتب التاريخ والتفسير ، أنكرها العديد من العلماء والمفسرين المعاصرين وأجمعوا على عدم صحتها وكذبها ووضعها ، تقول القصة أن النبي محمد كان يصلي بالناس في مكة ويقرأ سورة النجم ، فألقى الشيطان في أثناء قراءته كلمات على لسانه فيها الثناء على آلهة المشركين وإثبات الشفاعة لها عند الله ، وهذه الكلمات هي : (تلكَ الغرانيق العُلى ، وإن شفاعتهن لَتُرتَجَى) وأن المشركين لما سمعوا ذلك فرحوا واطمأنوا وسجدوا مع النبي محمد ؛ لأنه أثنى على آلهتهم وذكرها بخير .

(١١٤) مجلة الهلال ، أرمانوسة وفتاة غسان ،س ٦ ، ع ١٤ ، ١٥ مارس ١٨٩٧ ، ص ص ٥٣٩ ، ٥٤١ .

(١١٥) مجلة الهلال ، الإمام علي ، س ٦ ، ع ٨ ، ١٥ ديسمبر ١٨٩٧ ، ص ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(١١٦) مجلة الهلال ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ع ١٠ ، س ٢ ، ١٥ يناير ١٨٩٤ ، ص ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(١١٧) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، اسم الجلالة قبل الإسلام ، ع ١٢ ، س ٢ ، ١٥ فبراير ١٨٩٤ ، ص ص ٣٦٣ ، ٣٦٥ .

(١١٨) العداد ان هما العدد السادس عشر والسابع عشر للسنة الثانية .

(١١٩) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، س ٢ ، ع ٢٤ ، ١٥ أغسطس ١٨٩٤ ، ص ٧٤٧ .

(١٢٠) مجلة الهلال ، باب السؤال والاقتراح ، ع ٢٢ ، س ٧ ، ١٥ أغسطس ١٨٩٩ ، ص ٨٥ .

(121) Martin Hartmann, The Arabic press of Egypt by 1851-1919, P. 35.

(١٢٢) مجلة الهلال ، جواب خصوصي ، س ٦ ، ع ٧ ، أول ديسمبر ١٨٩٧ ، ص ٢٥٥ .

(١٢٣) مجلة الهلال ، عذراء قريش وآراء القُرّاء فيها ، س ٨ ، ع ١ ، ١ أكتوبر ١٨٩٩ ، ص ص ١٨ ، ١٩ .

(١٢٤) مجلة الهلال ، الموسوعات وعذراء قريش ، س ٧ ، ع ١٥ ، ١ مايو ١٨٩٩ ، ص ص ٥٢ ، ٥٦ .

(١٢٥) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، روايات تاريخ الإسلام ، س ٧ ، ع ١٦ ، ١٥ مايو ١٨٩٩ ، ص ص

٦٣ ، ٦٤ .

(١٢٦)مجلة الهلال ، باب المراسلات ، روايات تاريخ الإسلام ، س ٧ ، ع ١٦ ، ١٥ مايو ١٨٩٩ ، ص ص ٦٥ ، ٦٨ .

(١٢٧) مجلة الهلال ، باب المقالات ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ع ١٨ ، س ١٠ ، ١٥ يونيو ١٩٠٢ ، ص ٥٦٣ .

(١٢٨) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ع ٢ ، س ٤ ، ١ نوفمبر ١٩٠٥ ، ص ص ١٠٥ ، ١٠٧ .

(١٢٩) مجلة الهلال ، باب المراسلات ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ع ٢ ، س ٤ ، ١ نوفمبر ١٩٠٥ ، ص ص ١٠٨ ، ١١٠ .

(130) Philipp Thomas , The Role of Jurji Zaidan in the Intellectual development Of The Arab Nahda, p. 88.

(131) Thomas Philipp, The autobiography of Jurji Zaidan : including four letters to his son, Washington, ,1990, pp. 86, 87.

ولد شبلي النعماني في قرية بندول من أعمال "أعظم كرة" بالهند سنة ١٨٥٨م ،درس الأدب والفقه والحديث وعلوم الفارسية والأدبية والعربية ، كما درس الهندسة والمنطق والفلسفة . التقى بالسيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة ؛ فعرض عليه أن يعمل معه في التدريس ، فوافق على أن يكون أستاذا لآداب اللغتين العربية والفارسية . تعرف على المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد صاحب كتاب «دعوة الإسلام» ، ألف مجموعة من الكتب بالهندية مثل تعليم المسلمين في الماضي ، وفجرالأمل ، كما ألف كتابا عن الخليفة المأمون . في سنة ١٨٩٢م قام برحلة إلى منطقة الشرق الأوسط ؛ فزار الشام ومصر وإستانبول وبيروت والقدس ، وقد منحه السلطان العثماني النيشان المجيدي تقديرا لعلمه ومكانته واحتراما له . من مصنفاته : الغزالي وعلم الكلام ، وموسوعة السيرة النبوية ، وقد شارك في تأسيس جمعية ندوة العلماء واختير أمينا لها ، توفي شبلي النعماني ١٩١٤م .

(١٣٢) شبلي نعماني ، الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامي للفاضل جرجي زيدان ، طبعة اسي بريس ، الهند ، ١٩١٢ . للمزيد أنور الجندي ، أعلام القرن الرابع عشر الهجري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

(١٣٣) شبلي نعماني ، الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامي للفاضل جرجي زيدان ، ص ٢ .

(134) Robert McElvaine, Down and Out in the Great Depression: Letters From the Forgotten Man, University of North Carolina Press, 2008, p. IX.

(135) Andrew Hobbs, Readers, Letters to Victorian Local Newspapers as Journalistic Genre, p. 143.

(136) Philipp Thomas , The Role of Jurji Zaidan in the Intellectual development Of The Arab Nahda, p. 88.